مجلة شهرية

Issue No: 167 :عدد

July 2021 شهر تموز

نـــــور يسوع المسيح المســـيـــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

أنا هو نور العالم

من يتبعني
فلا يمشي في الظلام
بل يكون له نور الحياة

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عِيد هَامَتَيِ ٱلرَّسُلِ بُطْرُسَ ويُولُسَ

في مدينة كفرناحوم 12-7-2020

« هلمّوا لنمدح جميعًا هامَتَيِ الرُّسل بطرس وبولس الإلهيّيْن، كوكبَي المسكونة وكارِزَيِ الإيمان، البوقين المتكلّمَين بالإلهيّات، والمظهرَين العقائد، عمودَي الكنيسة، وداحِضَيِ الضلالة.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء

قد أقبل علينا عيد ذكرى الزوج المقدس المنتخب **الرسولين بطرس وبولس**، هذا العيد الذي جمعنا اليوم في هذا المكان، والمزار المقدس في كفر ناحوم لكي بشكرٍ وتمجيدٍ نكرم تذكارهم الموقر.

إن هامَتَيِ الرسلِ بطرس وبولس قد امتلآ من الروح القدس والنعمة الإلهية، وقد تميزا عن باقي الرسل بغيرتهم الإلهية الحارة من جهةٍ، وتفسيرهم الخلاصيّ اللاهوتيّ، لكلمة الله المتجسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح من الجهةِ الأخرى.

ولنسمع ماذا يرنم مرتل الكنيسة عن بطرس الرسول قائلًا: «لا لحمٌ ولا دمٌ، بل الآب قد ألهمك أيها الرسول بطرس، أن تتكلّم لاهوتيًّا في المسيح، أنّه ابن الله العَلِيّ.» وأمّا عن بولس فيقول: « إنّ المسيح لا يتراءى لك الآن برموزٍ، ولا في مرآة بالكلية، بل بالحري يرى وجهًا بإزاء وجه، كاشفًا لك معرفة اللاهوت تامّةً.»

ويُستَشهَد على هذا الحدث الذي ورد ذكره من المرنم، من **القديس الإنجيلي متى** حيث يقول ربنا يسوع المسيح لبطرس: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (متى ١٦: ١٧-١٨) وفي سفر أعمال الرسل لدينا الحدث الذي يَستشهد عليه المرنم عن بولس الرسول. « شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَقَالَ ''شاول'': «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضطهدهُ. فَقَالَ الرَّبُّ ''لحنانيا'' فِي رُؤْيَا: يَا حَنَانِيَّا! اذْهَبْ! لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ ''بولس'' اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.» (أعمال ٩: ٤-١٥).

إن العظمة الروحيَّة والأخلاقيَّة لصخرة الإيمان بطرس، والإناء المختار بولس تتضح من شيئين اثنين:

أولًا: بأن هذين الرسولين القديسين أصبحا شاهدين بعيونهما وآذانهما لأسرار مجد الثالوث القدوس غير المنظورة، والتي ظهرت في شخص يسوع المسيح، إذ يقول القديس بطرس الرسول: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ» (٢بط ١: ١٦)

وثانيًا: اعتراف القديس بولس الرسول عن نفسهِ قائلًا: « إِنَّهُ لاَ يُوافِقُنِي أَنْ أَفْتَخِرَ. فَإِنِّي آتِي إِلَى مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ.وَأَعْرِفُ هذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ.أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.» (٢كور ١٢: ١-٤).

إن كرازة زوج الرسل لكافة الأمم بحسب وصية الرَّبّ: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (متى ٢٨: ١٩) قد كانت بإلهام من المسيح وبنور المسيح، كما يؤكد بذلك بولس الرسول : «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧).

وإن دلّ هذا فهو يدُلّ على أن الكرازة الرسولية هي كرازة توبة وَبِرٍ وقداسة في المسيح المصلوب والقائم من بين الأموات.

إن كنيسة المسيح تكرِمُ بواجبٍ وَدَيْنٍ عليها، وبشكلٍ خاص عيد هامَتَيِ الرسلِ لأن هٰذين الرسولين قد ساهما وبدرجة كبيرة في إنشاء ''كنيسة الأمم'' والمقصود بالأمم، تلك الشعوب التي لم تعرف مطلقًا دين التوحيد الأخلاقي الذي أُعلِنَ على جبل سيناء من خلال **النبي موسى**. ولنسمع بطرس متكلمًا في مجمع أوروشليم الرسولي قائلًا:« إذ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِيًا لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا

أَيْضًا.» (أعمال ١٥: ٧-٨).

وأما ما يختص ببولس الرسول فإن الرب الذي اختارهُ يقول عنه: «إِنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.» (أعمال ٩: ١٥)، ويكتب بولس الرسول في ختام رسالتهِ إلى أهل رومية مُرسلًا سلامًا إلى العاملين معهُ: «سَلِّمُوا عَلَى الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، اللَّذَيْنِ لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الأُمَمِ» (رومية ١٦: ٣-٤).

وفي رسائل القديسين بطرس وبولس وبالأخص رسائل القديس بولس تُشكل لاهوتيًا المؤسسة البشرية الإلهية للكنيسة كبيتٍ روحي، والمسيح لها هو حجر الزاوية بحسب بطرس الرسول. (١بطرس ٢: ٤-٥) وهي جسد المسيح، والمسيح هو رأس الكنيسة بحسب بولس الرسول « وَإِيَّاهُ ''أي المسيح'' جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (أفس ١: ٢٣). «وَلِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أفس ٣: ١٠).

ومن الجدير بالذكر بأن التمييز بين هامتي الرسل القديسَيْنِ عن باقي الرسل، لا يمكن بأي حال من الأحوال تفسيره على أنه تفوُّق روحي على القديسين الآخرين، وذلك لأن عطية وموهبة الروح القدس قد أُعطيت من يسوع المسيح الناهض من بين الأموات لتلاميذه الرسل وقد صار هذا عندما:« كَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ» (يوحنا ٢٠: ١٩)، وقد أُعطيت النعمة دون تمييز وفرق في النوعية أو الكمية إذ للجميع أُعطيت على السواء، ويفسر **القديس كيرلس الإسكندري** أقوال الرب يسوع المسيح لتلاميذه خذوا الروح القدس. (يوحنا ٢٠: ٢٢) إذ يقول: بأن المسيح قد أعطى ''الروح القدس'' لجميع التلاميذ وليس لجزء منهم.

لهؤلاء الكوكَبَيْنِ العظيمَيْنِ بطرس صخرة الإيمان، وبولس المعلم الحقيقي أن يتشفعوا إلى مخلصنا المسيح ومع المرنم نهتف ونقول: يا رَسُولَي المسيح الإله استمدَّا غفران الزلّات للمعيِّدِينَ عن رغبةٍ لتذكاركما المقدَّس.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الحزمة والباكورة

للقديس كيرللس الإسكندري

«وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا، تَأْتُونَ بِحُزْمَةِ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُرَدِّدُ الْحُزْمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ لِلرِّضَا عَنْكُمْ. فِي غَدِ السَّبْتِ يُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ.» (لاويين 23:9-11).

لقد صار المسيح تقدمة للآب من أجلنا، بصفته باكورة الأرض على طقس الحزمة. إنه في ذاته يُعتبر سنبلة واحدة، ولكنه من جهتنا ليس سنبلة واحدة، ولكنه يُصعِد ذاته كمثل حزمة، أي رابطة مكوَّنة من سنابل كثيرة. وفي ذلك رمز سرّي نافع لنا:

فإنَّ يسوع المسيح واحدٌ هو، ولكنه كمثل الحزمة يُعتبر جامعًا الكثيرين في ذاته، وهو كذلك لأنه يقتني في ذاته جميع المؤمنين في اتحادٍ روحي، ولهذا السبب يكتب بولس الطوباوي: «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ » (أف 2:6)، لأنه لما صار مثلنا صرنا معه «شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ» (أف 3:6)، واغتنينا بالاتحاد به بواسطة جسده، ولذلك نقول إنَّنا كلنا فيه؛ بل هو نفسه يقول لله أبيه الذي في السموات: «كما أني واحد معك، أُريد أنهم هم أيضًا يكونون واحداً فينا» (راجع يو 21:17)، وذلك لأن: «مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ.» (1كو 17:6).

إذن، فهو حزمة بصفته يقتني الجميع في ذاته، ويرفع ذاته من أجل الجميع كباكورة للبشرية المُكمَّلة في الإيمان، والتي صارت مستحقة أن تنال الكنوز العُليا السماوية.

إنه يقول (في سفر اللاويين): إنه يجب ترديد الحزمة في غد اليوم الأول من الفطير، أي في اليوم الثالث بعد الفصح، لأن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثالث، وفيه أيضًا انطلق إلى السموات، إلى المسكن الحقيقي وإلى قدس الأقداس.

ثم إنه يقول: «لا تأكلوا من الحصيد الجديد إلى ذلك اليوم عينه الذي فيه تُردِّدون الحزمة»، ذلك لأن الذين كانوا في زمان الناموس، بل وكل صفوف الأنبياء القديسين، لم يكن لهم الطعام الجديد الذي هو تعاليم المسيح، بل ولم يكن قد تمَّ لهم تجديد الطبيعة البشرية، إلَّا كإرهاصة سابقة (**أَرْهَصَ الشيءَ:أَثْبَتَهُ وأَسَّسَهُ.**)، ولكن لمَّا قام ربنا يسوع المسيح وأكمل ترديد نفسه كباكورة للبشرية أمام الله الآب، حينئذ بالذات تمَّ تغيير أعماق كياننا إلى حياةٍ جديدة، وصرنا نسلك بحسب الإنجيل: «حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ.» (رومية ٦:٧).

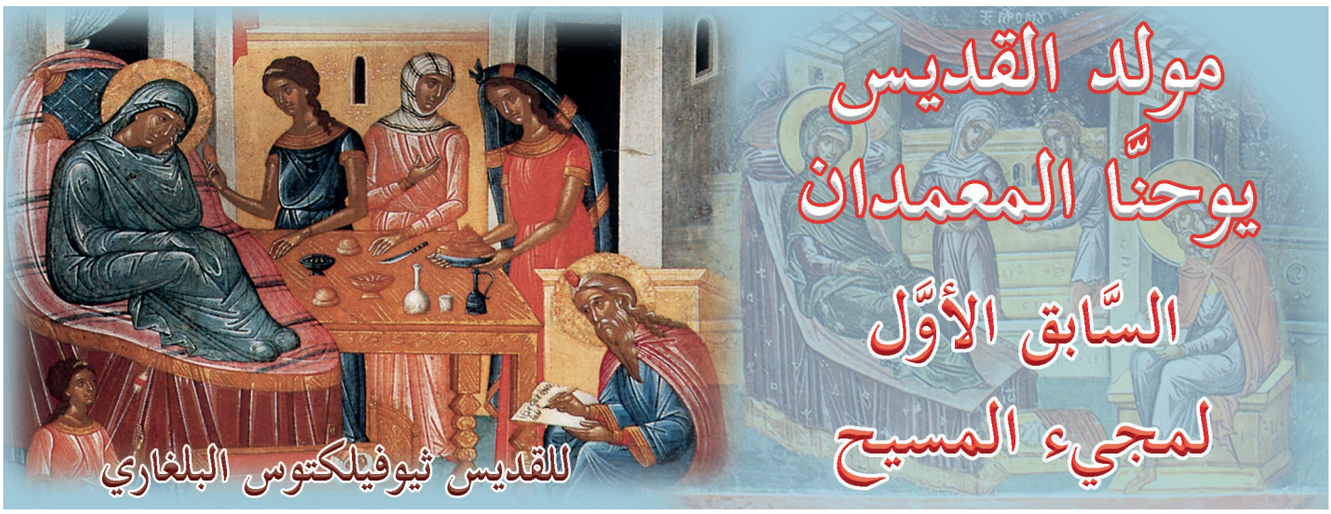

فصلٌ شريف من بشارة القديس لوقا الإنجيلي البشير،
التلميذ الطاهر (لوقا ١: ١-٢٥ و٥٧-٦٧ و٧٦ و٨٠)

إذ كان كثيرون قد أخذوا في تأليف قصص الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا مُعاينين منذ البدء وخُدّامًا لها، رأيت أنا أيضًا، وقد تتبّعتُ جميع الأشياء من الأوّل بتدقيق أن أَكتبها لك على الترتيب أيّها العزيز ثاوفيلُس، لتعرف صحّة الكلام الذي وُعظتَ به ✻ كان في أيّام هيرودس ملك اليهوديّة كاهنٌ اسمه زخريّا من فرقة أبيّا، وامرأتُه من بنات هارون اسمها أليصابات ✻ وكانا كلاهما بارَّيْنِ أمام الله، سائِرَيْنِ في جميع وصايا الربّ وأحكامه بغير لوم ✻ ولم يكن لهما ولدٌ لأنّ أليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد تقدّما في أيّامهما ✻ وبينما كان يَكْهَنُ في نوبة فرقته أَمام الله، أَصابته القرعة على عادة الكهنوت أن يدخل هيكل الربّ ويبخّر ✻ وكان كلّ جمهور الشعب يُصلّي خارجًا وقت التبخير ✻ فتراءى له ملاك الربّ واقفًا عن يمين مذبح البخور ✻ فاضطرب زخريّا حين رآه ووقع عليه خوف ✻ فقال له الملاك: لا تخف يا زخريّا، فإنّ طِلبتك قد استُجيبت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنًا فتسمّيه يوحنّا ✻ ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده ✻ لأنّه يكون عظيمًا أمام الربّ ولا يشرب خمرًا ولا مُسْكِرًا، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أُمّه بعد ✻ ويردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربّ إلههم ✻ وهو يتقدّم أمامه بروح إيليّا وقوّته ليردّ قلوب الآباء إلى الأبناء والعُصاة إلى حكمة الأبرار، ويهيّئ للربّ شعبًا مستعدًّا ✻ فقال زخريّا للملاك: بمَ أَعلم هذا، فإنّي أنا شيخ، وامرأتي قد تقدّمت في أيّامها ✻ فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف أمام الله، وقد أُرْسِلتُ لأُكلّمك وأُبشّرك بهذا ✻ وها إنّك تكون صامتًا فلا تستطيع أن تتكلّم إلى يوم يكون هذا، لأنّك لم تُصدّق كلامي الذي سيتمّ في أوانه ✻ وكان الشعب منتظرين زخريّا متعجّبين من إبطائه في الهيكل ✻ فلمّا خرج لم يستطع أن يُكلّمهم، فعلِموا أنّه قد رأى رؤيا في الهيكل، وكان يُشير إليهم وبقي أَبكم ✻ ولمّا تمّت أيّام خدمته مضى إلى بيته ✻ ومن بعد تلك الأيّام حبلت أليصابات امرأته فاختبأت خمسة أشهر قائلة: هكذا صنع بي الربّ في الأيّام التي نظر إليَّ فيها ليصرف عنّي العار بين الناس ✻ ولمّا تمّ زمان وضعها، ولدت ابنًا ✻ فسمع جيرانُها وأقاربها أنّ الربّ قد عظّم رحمته لها ففرحوا معها ✻ وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبيّ فدعوه باسم أبيه زخريّا ✻ فأجابت أُمّه قائلة: كلّا لكنّه يُدعى يوحنّا ✻ فقالوا: ليس أحد في عشيرتك يُدعى بهذا الاسم ✻ ثمّ أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمّى ✻ فطلب لوحًا وكتب فيه قائلًا: اسمه يوحنّا، فتعجّبوا كلّهم ✻ وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلّم مباركًا الله ✻ فوقع خوفٌ على جميع جيرانهم وتُحُدّث بهذه الأُمور كلّها في جميع جبال اليهوديّة ✻ وكان كلّ من يسمع بذلك يحفظه في قلبه ويقول: ما عسى أن يكون هذا الصبيّ؟ وكانت يد الربّ معه ✻ فامتلأ أبوه زخريّا من الروح القدس وتنبّأ قائلًا: مبارك الربّ إله إسرائيل لأنّه افتقد وصنع فداء لشعبه ✻ وأنت أيّها الصبيّ نبيّ العليّ تُدعى لأنّك تسبق أمام وجه الربّ لِتُعِدَّ طرقه ✻ أمّا الصبيّ فكان ينمو ويتقوّى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

المقدمة:

إذ كان كثيرون قد أخذوا في تأليف قصص الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا مُعاينين منذ البدء وخُدّامًا لها، رأيت أنا أيضًا وقد تتبّعتُ جميع الأشياء من الأوّل بتدقيق أن أَكتبها لك على الترتيب أيّها العزيز ثاوفيلُس، لتعرف صحّة الكلام الذي وُعظتَ به.

مَنْ هُمُ هؤلاء المؤلّفون؟ إنّهم رُسُلٌ كَذَبة لأنّهم كتبوا دون أن يكمّلوا. هذا لأنّهم خالون من النعمة الإلهيّة (١).

هي «أمور متيقّنة»: لأنّها حقيقيّة بحسب التقليد ومرافقة بالدرس والتدقيق (٢).

كيف متيقّنة أيضًا؟ يقول **البشير لوقا**: «كما سلّمها إلينا الذين كانوا مُعاينين منذ البدء وخُدّامًا لها». ممّا يدلّ على أنّ لوقا لم يَكُن تلميذًا منذ البداية بل أصبح لاحقًا. في البداية كان التلاميذ الاثنا عشر

بطرس وأندرواوس، يعقوب ويوحنا ابنا زبدي وغيرهم الذين نقلوا «ما سمعوا وما رأوا» إلى لوقا (٣).

ماذا يقصد بالتعبير: «**لتعرف صحّة الكلام الذي وُعظتَ به**»؟ ربَّما أنَّ لوقا قد نقَلَ أوَّلًا إلى ثاوفيلُس شفيعها (**أنطاكية**) ثمَّ أراد أنْ يُثَبِّتَ له الأقوال كتابةً. هذا بعد الدرس والتدقيق(٤).

إعلان بشارة السَّابق (لوقا ١:٥–٢٥):

«كان في أيّام هيرودس ملك اليهوديّة كاهنٌ اسمه زخريّا من فرقة أبيّا وامرأتُه من بنات هارون اسمها أليصابات ✻ وكانا كلاهما بارّيْنِ أمام الله، سائرَيْنِ في جميع وصايا الربّ وأحكامه بغير لوم ✻ ولم يكن لهما ولدٌ لأنّ أليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد تقدّما في أيّامهما». (لوقا ١:٥–٧).

يذكر أيّام هيرودُس الملك على غرار أقوال أنبياء العهد القديم، مثلًا أيّام حزقيا الملك ... من جهةٍ ثانية ليتمّم قولَ يعقوب أب الآباء النبويّ: «لا يزول صولجانٌ من يهوذا ومشترعٌ من صُلبِهِ حتى يأتي رجاءُ الأمم وتُطيعه الشعوب» (بحسب السبعينيّة **تك ٤٩:١**).

يُظهر هكذا حقيقةَ الإنجيل ووقتَ ظهوره التاريخي. يبدأ بزخريَّا وولادة يوحنا المعمدان، ثُمَّ ينتقل بعدها إلى ولادة يسوع المسيح. وُلِدَ السَّابق عجائبيًّا من عاقر، والمسيح وُلِدَ بالرُّوح القُدُس من أُم عذراء لا تعرف رَجُلًا.

زخريا (اسم عبري معناه أُذكر الربّ) وهو من فرقة أَبِيَّا الكهنوتيَّة، وزوجته أليصابات (أليشيبع **אלישבע** Elisheva) وكانت زوجة هارون الكاهن الكبير تُدعى أيضًا أليشيبع. ممّا يُظهر أنَّ يوحنّا المعمدان كان ينحدر من سبط كهنوتي من الجهتين، جهة أبيه وأمّه (٥).

كانا بارّيْنِ أمام الله لا أمام الناس. يَتَّبِعان وصايا الله وأحكامه لا لِيُرضِيا الناس بل ليكونا بلا لَوْمٍ (٦) أمام الله. كانت أليصابات (أليشيبع) عاقرًا على مثال العواقر في العهد القديم. هذا لِيُظهِر أنَّ الناموس في النهاية لا يطلب الخصبَ الجسدي بل الرّوحي (٧).

« وبينما كان يَكهن في نوبة فرقته أمام الله، أصابته القرعة على عادة الكهنوت أن يدخل هيكل الربّ ويبخّر ✻ وكان كلّ جمهور الشعب يُصلّي خارجًا وقت التبخير» (لوقا ١:٨–١٠).

الذين يبخّرون ويكهنون هُم عادةً أشخاصٌ مُختارون طاهرون. في يوم التكفير كان يدخل رئيس الكهنة إلى قُدس الأقداس، كما دخل زخريا ونال ثمرَ أتعابه وصلواته. كذلك أيضًا سوفَ يتقدَّم الرَّبّ يسوع المسيح رئيسُ الكهنة الوحيد، ويدخل إلى السَّماء بجسده، فننال غفرانَ خطايانا وخلاصنا وَبُنُوَّتَنَا.

إعلان مولد يوحنا المعمدان:

«فتراءى له ملاك الربّ واقفًا عن يمين مذبح البخور ✻ فاضطرب زخريّا حين رآه ووقع عليه خوف ✻ فقال له الملاك: لا تخف يا زخريّا، فإنّ طِلبتك قد استُجيبت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنًا فتسمّيه يوحنّا ✻ ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده » (لوقا ١:١١–١٣).

يتراءى ملاكُ الرّبّ لأنقياء القلوب على مثال زخريّا. يكشف عن اسمه في الآية ١٩. يتراءى عن يمين مذبح البَخُور الذي يتميّز عن مذبح المحرقات.

اضطرب زخريّا لأنَّ الرؤيا تُخيف حتى القدّيسين. فيُطمئنه الملاك ويُزيل عنه الخوف بالإعلان المُفْرِح. لأنَّ الرؤيا إلهيّة وليست شيطانيّة. طبعًا لم يَكُن زخريَّا يطلب من أجل الأولاد بل من أجل خطايا الشعب. وكأنَّ ثمر ودليل واستجابة صلاته يكون بولادة السابق. **ولادة يوحنا** من أليصابات (أليشيبع) تُصبح العلامة الدالّة على غفران خطايا الشعب. إذ ان هذا الابن يوحنا هو الذي سوفَ يرى حمل الله الرَّافعَ خطايا العالم بالحقيقة. اسم الولد «يوحنا» ومعناه «الله تحنّن» يبقى رمزًا لرسالته ومهمّته.

«لأنّه يكون عظيمًا أمام الربّ ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أُمّه بعد ✻ ويردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربّ إلههم ✻ وهو يتقدّم أمامه بروح إيليّا وقوّته ليردّ قلوب الآباء إلى الأبناء والعُصاة إلى حكمة الأبرار ويهيّئ للربّ شعبًا مستعدًّا» (لوقا ١:١٥–١٧).

سيكون يوحنا المعمدان عظيمًا أمام الرّبّ، لا أَمام الناس فقط كما يحصل مع الفريّسيين. كان أيضًا كبيرَ النفس لا صغيرها، لا يُعثر أحدًا من الأخوة الصغار. (**راجع متى ١٨:١–١١**).

«يمتلىء من الروح القدس» من بطن أمّه أليصابات (أليشيبع). عندما جاءَت مريم العذراء لتزورَهَا ارتكض الجنينُ في بطنها بسبب حضور الرّبّ يسوع في بطن مريم.

«المُسكِر» في العهد الجديد، هو كُلّ ما يدعو إلى الشُّرب المُفرِط وليس فقط للخمر.

الآباء هنا هُم اليهود، والأبناءُ هُم الرُسل. «يردّ كثيرين» من اليهود إلى الرُسل إلى المعلّمين وشُهداء الرّبّ. «جاءَ بروح إيليا» كان يوحنا سابقًا لحضور المسيح الأوّل، وإيليا يكون سابقًا لحضوره الثاني.

كان يوحنا على مثال إيليا متقشفًا، لا قنيةَ له، موبّخًا الآخرين على شرورهم (**إيليا وَبَّخَ أيزابيل الملكة، ويوحنا وبَّخَ هيروديّا**). «يردّ العُصاة إلى فكر الأبرار» أي فكر الرُسل، نعمة الروح القُدس. يُهيّئ لاقتبال الكرازة، البشارة بالمسيح (٨) .

«فقال زخريّا للملاك: بمَ أَعلم هذا، فإنّي أنا شيخ، وامرأتي قد تقدّمت في أيّامها ✻ فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف أمام الله وقد أُرْسِلْتُ لأُكلّمك وأُبشّرك بهذا ✻ وها إنّك تكون صامتًا فلا تستطيع أن تتكلّم إلى يوم يكون هذا، لأنّك لم تُصدّق كلامي الذي سيتمّ في أوانه» (لوقا ١:١٨–٢٠).

على الرغم من بِرِّ زخريَّا إلَّا أنّه أمام تقدّمه في الشيخوخة لم يصدِّق كلامَ الملاك بسهولة. لذلك كشفَ ملاك الرّبّ عن هويّته: «أنا جبرائيل الواقف قدّام الله»(٩). لستُ مُضِلًّا أو شيطانًا بل ملاك الله. وقد أدَّبَ الله زخريَّا على عَدم تصديقه، فبقيَ صامتًا لا يستطيع أن يتكلَّم. كُلّ من يُعارض كلام الله يؤَدَّب بالصمت (١٠).

كأنَّ هذا الشيخ الطاعن في السِّن والذي شَكَّ في إيمانه، سوفَ يولَد له ابنٌ هو الأعظم في الأنبياء، هكذا جميعُ اليهود والكهنوت الذي شاخ، سوفَ يولَد لهم كلمةُ الله في الجسد، سيّد الأنبياء هذا الذي يحوّل عدمَ الإيمان والعصيان إلى إيمان وطاعة.

« وكان الشعب منتظرين زخريّا متعجّبين من إبطائه في الهيكل ✻ فلمّا خرج لم يستطع أن يُكلّمهم، فعلِموا أنّه قد رأى رؤيا في الهيكل، وكان يُشير إليهم وبقي أبكم ✻ ولمّا تمّت أيّام خدمته مضى إلى بيته » (لوقا ١: ٢١-٢٣).

كان اليهود ينتظرون بِصَبر خروجَ زخريّا من الهيكل. وعند خروجه أخذَ «يومىء» إليهم وكأنَّه يُحاول أن يفسّر لهم بالإشارة سبَبَ صمته (١١). لم يذهب إلى بيته قبلَ انتهاء أيّام خدمته حيثُ يُمتَنَع اللقاء مع امرأته. مَكَثَ في الهيكل الذي كان بعيدًا عن مكان سُكناهُ. ممَّا يُشير إلى سبيل اليهود الجاهل، لأنَّهُم قبل مجيء «الكلمة» لم يستطيعوا أن يعرفوا لا التكلّم ولا التصرُّف. يظلّون صامتين كما فعل زَخريّا، ولا يعطون جوابًا إلّا بالإشارة.

«ومن بعد تلك الأيّام حبلت أليصابات امرأته فاختبأت خمسة أشهر قائلة: هكذا صنع بي الربّ في الأيّام التي نظر إليّ فيها ليصرف عنّي العار بين الناس(١٢) » (لوقا ١: ٢٤-٢٥).

كانت أليصابات (أليشيبع) امرأة عاقلة وحكيمة. لم تُرِد أن تظهر حاملًا وهي طاعنة في السِّن. أخفَت نفسها خمسة أشهر إلى أن حبلت مريم العذراء. عندها ارتكض الجنين في بطنها، ولم تستَطِع إخفاء نفسها، بل استحقّت أن تصيرَ أُمًّا لنبيّ تنبَّأ وهو في بطن أمّه بالروح القدس.

الولادة – الختانة:

« ولمّا تمّ زمان وضعها، ولدت ابنًا ✻ فسمع جيرانُها وأقاربها أنّ الربّ قد عظّم رحمته لها ففرحوا معها ✻ وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبيّ فدعوه باسم أبيه زخريّا ✻ فأجابت أُمّه قائلة: كلّا لكنّه يُدعى يوحنّا ✻ فقالوا: ليس أحد في عشيرتك يُدعى بهذا الاسم ✻ ثمّ أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمّى ✻ فطلب لوحًا وكتب فيه قائلًا: اسمه يوحنّا، فتعجّبوا كلّهم ✻ وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلّم مباركًا الله» (لوقا ١: ٥٧-٦٤).

بقيت مريم ثلاثة أشهر مع أليصابات من أجل التعزية، وعندما حان وقتُ الولادة رجعت مريم إلى بيتها. يُقال: «تمَّ زمانها» لأنَّها كانت بارّة، بينما لا يُقال مثل هذا الكلام لانسان خاطئ كان من الأفضل ألّا يولَد.

لماذا يُطلقون الاسم على الولد عند الختان؟ لأنّه كان على الصبيّ أن **يتّخذ الختمَ الإلهي أوّلًا وبعدها الاسمَ البشري.** كان الختانُ يُشير إلى خلع الشهوات الجسديّة. لا يستحق الواحد أن يُدعَى جنديًّا للمسيح، ويُكتَب اسمه في سفر الحياة، إذا لم ينزع أوّلًا شهواته الجسديّة.

أليصابات (أليشيبع) كنبيّة (لم تكن تعرف الاسمَ من زوجها). قالت إنّه يُدعَى يوحنّا (١: ٦٠) لأنَّ يوحنّا نفسه قد نَقَلَ الموهبة لأمّه. ووافق زخريّا لكتابة الاسم نفسه على اللوح. لم يكن مثل هذا الاسم معروفًا في العائلة ممَّا يُشير إلى أنّه من نعمة الله. لذلك أنعَمَ على زخريّا أن يتكلّم من جديد ويبارك الله (١٣) .

« فوقع خوفٌ على جميع جيرانهم وتُحُدّث بهذه الأُمور كلّها في جميع جبال اليهوديّة ✻ وكان كلّ من يسمع بذلك يحفظه في قلبه ويقول: ما عسى أن يكون هذا الصبيّ؟ وكانت يد الربّ معه ✻ فامتلأ أبوه زخريّا من الروح القدس وتنبّأ قائلًا: مبارك الربّ إله إسرائيل لأنّه افتقد وصنع فداء لشعبه » (لوقا ١: ٦٥-٦٨).

«فوقع خوفٌ» على الكلّ لغرابة كلام زخريّا. اندهش الشعب بسبب صمته، وكذلك عند تكلّمه. فأخذ الجميع يتفكّر ما عسى أن تكون عظمة هذا الصبي الذي تُرافق ولادتَه مثلُ هذه العجائب! هذا كلّه بتدبير الله، حتى أنَّ الذي هو مزمع أن يشهد للمسيح يكون مستحقّ التصديق. من الولادة هذه أيضًا يتحقّق الشعب أنَّ يوحنّا كان عظيمًا في الحقيقة.

يبارك زخريّا الله الذي افتقد شعبه (١٤) وأتى إلى الخراف الضّالة من بيت اسرائيل. جاء إلى الاسرائيليين الحقيقيين الذين تقبّلوا رسالته وآمنوا به.

«وأنت أيّها الصبيّ نبيّ العليّ تُدعى لأنّك تسبق أمام وجه الربّ لتعدّ طرقه» (لوقا ١: ٧٦).

غريبٌ كلام زخريّا عن الصبيّ ابنه. يتكلّم معه كأنَّه يسمع ويفهم. يُدعى الصبي «نبيّ العليّ» بينما يسوع يُدعَى من الملاك «ابنَ العليّ» (١: ٣٢) يوحنّا هو نبيّ الرّبّ وسابقه (١٥).

سوف يغادر يوحنّا أباه بعد قليل ليذهب إلى البريّة ويُعدّ طُرقَ الرّبّ أي النفوسَ التي سوفَ يعبر الرّبّ فيها (١٦).

«أمّا الصبيّ فكان ينمو ويتقوّى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.» (لوقا ١: ٨٠).

كان الصبيّ ينمو بحسب القامة الجسديّة. وتتقوّى الموهبة الروحيّة مع النموّ الجسدي. أي كلّما ينمو جسديًّا كانت تظهر فيه التقوى الروحيّة.

لماذا في البراري؟ ليوجد بعيدًا عن شرور الكثيرين. فيوبّخهم من بعيد دون خجل. وأيضًا حتى يثق العالم بكرازته بمجيء المسيح. لذا اختفى أوّلًا في البريّة قبل أن يظهر عَلَنًا في إسرائيل (١٧).

---

١) يقول **القديس زيغافينوس**: «إنَّ معاني الكلمة» هم الرُّسل الإثنا عشر الذين سمعوا ورأوا ورافقوا المسيح ممّا يدعو لتصديقهم. راجع أيضًا (أع٤: ٢٠) «بما رأينا وسمعنا».

رافَقَ التلاميذ المسيح «كُلّ الزمان الذي فيه دخل إليهم الرّبّ يسوع وخرج» (أع ١: ٢١).

٢) لقد دَرَسَ لوقا بتدقيق وتتبَّعَ أحداثَ التاريخ الانجيلي كلّها. لذلك يمكن أن يُقال عنه ما قيل عن الأنبياء في العهد القديم.

(٣) «الخلاص الذي فتَّشَ وبحث عنه أنبياء، الذين تنبَّأُوا عن النعمة التي لأجلكم» (١ بطرس ١: ١٠).

لا ينفي الإلهام الإلهي استخدام القوى العقليّة عند الكاتب. عمل الروح القدس هو أن يُنير ويميّز ويضمن الكتابة من كلّ ضلال. الكلمات الأسلوب التصميم هي من خاصة لوقا. لكنّه كان ممتلئًا من الروح القدس إلى حدّ يمكن أن يُقال عنه: «تكلّم أُناس قدّيسون مسوقون من الروح القُدس» (٢بطرس ١: ٢١).

(٤) يبقَى ثاوفيلُس مجهولًا، ومع ذلك يقدّمه التقليد الشريف كأُسقف لأنطاكية. تعلّم عن طريق الجيل المسيحي الأوّل. كان بحاجة إلى كتاب لوقا والأعمال ليتثبَّت في إيمانه. تفتح الكرازة الطريق، ودراسة الكتاب المقدّس الملهم من الله تُدخل النور الإلهي إلى النفس. تُكَمِّل وتُثبِّت الكرازة الأولى.

تَبارَكَ الله الذي لم يَكتَفِ بتأسيس الكنيسة، بل جعلَ الكتابَ المقدَّس المُلهم من الله مُرشِدًا لتأكيد التقليد الشفهي، وضمانة عدَم ضلالة الحقيقة المُخَلِّصَةِ.

(٥) قبل أن يَروي لوقا كلَّ ما يتعلَّق بولادة المخلّص، يبتدىء برواية ولادة يوحنا المعمدان الذي كان الكوكبَ السابق لمجيء شمس العدل. خصوصًا وأن ولادته رافقتها أحداثٌ عجائبيّة تُهيّئ لاقتبال ما سوفَ يحدث في الوقت المناسب.

رافقَ الإكرامُ من الله عائلتي هُرون (أَهارون) وداود. ارتبط الكهنوت بهُرون والملكيّة بداود. وقد كَرَّمَ الإنجيل العائلتين الكهنوتيّة والملكيّة: عائلة هُرون عن طريق السَّابق يوحنّا المعمدان، وعائلة داود عن طريق السيّد المسيح. بعدها توقَّف الامران لهما.

(٦) كانا «بلا لوم» كما قال بولس الرسول: «لكي تكونوا بلا لوم وبُسطاء أولادًا لله بلا عيب» (في ٢: ١٥) بحسب أوامر الناموس.

(٧) كان يوحنا المعمدان على مثال اسحق، يعقوب، يوسف، شمشون، صموئيل . وُلِدُوا من نساء عواقر ممّا يُظهر قدرَة الله الفائقة الطبيعة ورحمته الجزيلة.

(٨) يقول **القديس زيغافينوس**: إنَّ لوقا يدعو المسيح ربًّا وإلهًا حسب الآية ١٦:١ «يردّ كثيرين من بني اسرائيل إلى الرّب إلههم».

(٩) جبرائيل أي جبروت أو قوّة الله. ميخائيل أي مَن مِثْل الله، يمثِّل مُقاومة الملائكة للشيطان. أمَّا جبرائيل فهو المُبَشِر برحمة الله. هنا أيضًا روفائيل الذي تفسيره: الله المانح الشفاء أو الله المانح التطبيب. راجع سفر طوبيا ١٢: ١٥ حيث يتكلّم عن رؤساء الملائكة السبعة الذين يرفعون صلوات القدّيسين أمام مجد الله.(أسماء رؤساء الملائكة السبعة: ميخائيل، جبرائيل، روفائيل، أوريئيل، نوريئيل، تسوريئيل، حانوخ. – وكما هو مذكور في الكتب اليهودية، التي تشير إلى أنَّ أسماء رؤساء الملائكة: ميخائيل وجبرائيل وروفائيل هي المذكورة في العهد القديم، أمَّا الأسماء الأربعة الأخرى فهي مأخوذة من التقليد).

(١٠) يقول القدّيس يوحنا الذهبي الفم: إنَّ اللسانَ الذي خدمَ عدم التصديق بكلام الملاك، يتقبَّل عقاب جحوده. ومع ذلك يتصرّف الله نحو زخريَّا بِرِفق ومحبّة، لأنه يقول له: عندما يتمّ كلامُ الملاك بولادة يوحنا، عندها سوفَ تتحرّر من عَدَم النُّطق. هذا يعني أنَّ طلب زخريَّا قد تحقّق بإعطائه مِن قِبَل الله علامةً وهي: عدَمُ التكلّم التي صارت في الوقت نفسه تأديبًا وبركةً.

(١١) حسب كتاب الميشنا، بعد تقدمة البَخُورِ وإشعال المنارة، كان الكهنة يخرجون من باحة هيكل القُدس الذي هو أمام قُدس الأقداس، لِيَعطوا البرَكَةَ للشعب. رُبَّما حَسِبَ الشَّعبُ أنَّ زخريَّا الخارج وحدَهُ، لم يستطع أن يُعطي البرَكَة. فَبَقِيَ صامتًا.

(١٢) تُكَرِّر أليصابات (أليشيبع) كلامَ راحيل الظافر: «وذَكَرَ الله راحيل وسمع لها الله وفتح رحمها. فحبلت وولدت ابنًا. فقالت قد نزع الله عاري. ودعت اسمه يوسف (يوسيف بالعبريّة) قائلة: يزيدني الرّبّ ابنًا آخَرَ» (تك ٣٠: ٢٢-٢٤). هذا لأنَّ العُقْرَ كان يُعتبر عارًا في العهد القديم (أنظر أشعيا ٤: ١ و ٤٧: ٩). أمَّا العهد الجديد فقد أدخَلَ مفهومًا روحيًا جديدًا اذ اعتبر الخصب الجسدي بَرَكَة عابرة.

(١٣) بَقِيَ زخريَّا صامتًا مدّة تسعة أشهر، وما ان تكلَّم حتَّى أخذَ يمجّد الله. كانت الفترة هذه إذًا بَرَكَة بالنسبة إليه. إنفتح فمه ليسبّح الله، ليمجّده وليشكره. فتفوَّه بالأوديّة الشعريّة المعروفة (لوقا ١: ٦٨-٧٩).

(١٤) «مباركٌ الرّبُّ إله إسرائيل» تسبيح كهنوتي يليق بأبناء هُرون. بينما «تعظِّم نفسي الرَّبّ» تسبيح ملكي يليق بأبناء داود. هذا التسبيح هو في الوقت نفسه نبوءةٌ، كونه يتقدّم عملَ الروح القدس في ولادة يسوع المسيح. تتبع الأُودِيَّة الشعريَّة (لوقا ١: ٦٨-٧٩).

(١٥) غابت النبوءةَ من إسرائيل لمدّة من الزمن طويلة. آخر الأنبياء يسبق مباشرة مجيءَ المسيا المنتظر.

(١٦) هذه النبوءةُ مأخوذة من ملاخي وأشعيا. «هاءنذا مُرسل ملاكي يهيّء الطريق أمامي» (ملاخي ٣: ١). «صوتُ صارخ في البريّة أعدّوا طريق الرّبّ اجعلوا سُبله مستقيمة» (أش ٤٠: ٣).

(١٧) البريّة هنا هي بريّة يهوذا غرب البحر الميت، ذلك الزمان كان يعيش في البريّة جمعٌ كبيرٌ من الأسّانيين الذين ينتظرون المسيّا، بل يعتبرون المادة عنصر الشّر. بينما يوحنَّا يَجد عنصر الشَّر في إرادة الإنسان لا في المادة.

القديس يوحنا المعمدان، السَّابق الأوَّل لمجيء المسيح يعلن جهارًا: أنَّ المسيح هو حمل الله.

«وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو ١ : ٢٩).

ليس أحد هو العريس سوى المسيح الذي يقول عنه القديس يوحنا المعمدان: «مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ» (يو٣: ٢٩)، لذلك هؤلاء (موسى ويشوع بن نون وغيرهما) خلعوا أحذيتهم، أما حذاؤه فلا يقدر أحد أن يحل سيوره، وكما قال القديس يوحنا المعمدان: «الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ.» (لو٣: ١٦) . القديس أمبروسيوس

القديس بولس الرسول مَثَلٌ بارز لإمكانيات الطبيعة البشرية في الفضيلة

تُعتبر حياة الرسول بولس مثالًا حيًا لإمكانيات الإنسان الفائقة في الحياة المقدسة، بعمل النعمة الإلهية، فلم يَعد لنا أن نحتج بضعف طبيعتنا، فإنه ليس من طبيعة تختلف عن طبيعتنا.

كانت محبة المسيح هي المصدر الرئيسي لجهاده وملء مسرته، وظل هدفه الأوحد هو خلاص النفوس. كان ملائكيًا في نقاوته، حازمًا في قراراته، يشارك الكل معه في إنجازاته.

بولس الرسول كمثالٍ حَيٍّ لإمكانيات الإنسان!

كان القديس بولس من أنبل الرجال، ومثالًا واضحًا لِسُمُوّ الطبيعة البشرية، وإمكانيتها (خلال النعمة) في الفضيلة. خلال حديثه عن شخص السيد (المسيح) وحثّنا على الفضيلة أدان (بولس الرسول) المنادين بفساد الطبيعة البشرية، وأبكم أفواه الناطقين بالافتراءات، مؤكدًا أن الفرق بين الملائكة والبشر طفيف جدًا، إن أرادوا الوصول إلى درجة الكمال.

لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا؛ ولا نفسه مختلفة عن نفوسنا، ولا عاش في عالمٍ آخَرَ، بل سكن في نفس العالم والمدينة وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر. الآن، أين هؤلاء المعترضون على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطيئة؟ فهذا الرجل يدينهم بكلماته: «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا.» (٢ كو٤:١٧). فإن كانت ضيقاته محتملة وخفيفة، فكم بالأحرى ضيقاتنا التي إن قارناها بضيقاته صارت كلا شيء أو مجرد لذّات؟

اتقاد غيرته وسط الآلام

بالحقيقة إن غيرته الزائدة لم تُشْعِرْهُ بالآلام المصاحبة لحياته في الفضيلة. ولم يكن ذلك الأمر هو الوحيد العظيم في حياته، وإنما أيضًا لم يكن له دافع خفيٌ وراء سعيه نحو الفضيلة. إننا نتخاذل في تَحمُّل الآلام من أجل الفضيلة، حتى لو عُرضت علينا المكافأة مُقدَّمًا، لكن بولس احتضن الآلام بمحبة بلا مُقابل، وَتَحَمَّلَ بكل فرحٍ ما اعترضه من صعوبات وعوائق في طريق الفضيلة. فلم يتضايق من ضعف الجسد أو ضغوط المسئولية، أو بطش العادات ولا من أي شيء آخر. عِلاوة على ذلك فاقت مسئوليّاته كل مَهامِّ القادة والملوك، لكنه كان يزداد في الفضيلة يوميًّا. وصار ازدياد المخاطر سببًا في التهاب غيرته بالأكثر، فقال «أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ» (في ٣:١٣).

مفاهيم جديدة للموت والألم والفقر الاختياري

عندما اقترب منه الموت دعا الجميع لمشاركته هذا الفرح، قائلًا: « وَبِهذَا عَيْنِهِ كُونُوا أَنْتُمْ مَسْرُورِينَ أَيْضًا وَافْرَحُوا مَعِي.» (في ٢:١٨). فكان يتهلَّل فَرَحًا في الضيق والألم وفي كل مذلة. كتب إلى أهل كورنثوس: «لِذلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ.» (٢ كو ١٢:١٠). ودَعا ذلك أذرع العدالة موضِّحًا أنها مصدر مُثمر لفائدته، فصار لا يُهزَم أمام أعدائه. وبالرغم من الضرب والاضطهاد والشتم كان كمن في عرسٍ مبهجٍ، مُصحِّحًا الكثير من مفاهيم النُصرة، متهللًا فرحًا، شاكرًا لله بقوله: « وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ» (٢ كو ٢:١٤). وفي كرازته ازدادت كرامته بقبوله الإهانات والاضطهادات، ناظرًا للموت كما ننظر نحن إلى الحياة، وقابلًا للفقر كقبولنا للغِنَى، ومتمتِّعًا بالأتعاب لسعينا نحو الراحة، ومُفَضِلًا الضيقة عوض اللذة، ومُصليًا لأجل أعدائه أكثر من المصلين ضدهم. فقلب موازين الأمور، أو بالأحرى لنقُل إننا نحن الذين غيّرنا تلك النُظم. إذ أنه ببساطة حافظ على شرائع الله، لأن ما سعى إليه يتفق مع الطبيعة البشرية أما سعينا نحن فهو ضد الطبيعة، والدليل على ذلك أن بولس مع أنه إنسان، إلَّا أنه جَدَّ فيما كان يعمله وليس فيما نحن نعمله. شيء واحد فقط كان يخافه ويخشاه، ألَا وهو التعدّي على شرائع الله. فسعى نحو لذةٍ واحدة فقط، وهي أن يكون موضع سرور الله، ليس بمعنى السرور الحاضر فقط، بل السرور العتيد أن يكون أيضًا.

محبة المسيح الفائقة!

لا تحدثوني عن المدن أو الشعوب والملوك والجيوش والمال والولايات والسلطات، فهذه كلها فانيات، ولكن اهتموا بالفرح السماوي لتروا المحبة الفائقة التي في المسيح.

مجد الملائكة ورؤساء الملائكة وأي شيء آخر أقل شأنًا عنده من محبة المسيح، فامتلك في أعماقه الداخلية أعظم ما يمكن للإنسان امتلاكه، أي محبة المسيح التي بها اعتبر نفسه أسعد الناس، وبدونها يفقد كل رغبة في أية سلطة أو مبادئ أو قُوَّات. بهذا الحب فضَّل أن يُحسب ضمن الرُتب الوضيعة، على أن يُحسب ضمن أعظم النبلاء بدونه. كان العقاب الوحيد في نظره أن يتجرَّد من هذا الحب، **فذاك هو الجحيم نفسه**، والتأديب والشرّ الأبدي. على عكس ذلك فإن امتلاك محبة المسيح هي السماء وهي الحياة، وهي العالم كله، وهي أن يصير ملاكًا، وهي الفرح الحاضر، والفرح المقبل، وهي الوعد، وهي الصلاح الأبدي.

خارج هذا لا يوجد أي شيء آخر سواء كان مُبهِجًا أو مؤلمًا. احتقر العالم المنظور كله، كأنه ورقة شجرة جافة متعفنة، **فالطغاة والناس المملوءون بنار الغضب في نظره مجرد حشرات صغيرة**، الموت والاستبداد والاضطهاد في نظره كلهو الأطفال، طالما أنه من أجل المسيح. فاحتَضَنَ كل هذا بفرح، واعتبر قيوده في سلاسل جائزة أثمن وأغلى من تاج نيرون، فصار سجنه سماءً، واحتمل جراحات السِّياط باشتياق كاشتياق المتسابق نحو الجائزة، لذلك دَعَا الآلام مصدر تعزية، دعوني أشرح ما أقصده بذلك.

إن المكافأة الحقيقية هي أن ينطلق ويكون مع المسيح (في ١: ٢٣) فذاك أفضل من أن يكون في الجسد، لأن تلك هي الضيقة والتجربة. وبالرغم من ذلك فضَّل الضِّيقة على المكافأة، وقال أنها أكثر ضرورة له. أن يكون محرومًا من المسيح فذاك هو القضاء المؤلم الذي يفوق كل ألم، ولكن من أجل المسيح فضَّل أن يكون هو نفسه محرومًا منه عن أن يكون مع المسيح.

قد يقول قائل أن تلك الأشياء كانت موضع سروره بسبب المسيح. وأوافق على أن الذي يحزننا كان يفرحه... إذًا لماذا أذكر الأخطاء والإهانات؟ لأن آلامه الدائمة جعلته يقول: «مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ» (٢ كو ١١: ٢٩)

مسرته في مشاركة آلامه للآخرين

يُقال أنه يوجد نوع من السرور مستتر في عمق الألم. فكثير ممن يحزنون لموت أبنائهم يجدون عزاءً إذا ما تُركوا وحدهم مع دموعهم، لكن إن حبسوا تلك الدموع، يشعرون بازدياد عمق الألم. بالمثل فإن بولس لم ينقطع عن اكتشاف العزاء من خلال البكاء ليلاً ونهارًا. ولم يحزن أحد قط على آلامه مثلما حزن هو على آلام الآخرين. ما أعظم اهتمامه بخلاص اليهود، وذلك حينما صلَّى أن يُحرم من مجد السماء، لو كان ذلك سبيلًا لخلاصهم (رو ٩: ٣)! ألَا يوضح ذلك أن فقدان الآخرين لخلاصهم أشد ألمًا من فقدانه خلاص نفسه، وإلَّا لِما صلَّى كما ذُكِرَ. لقد فَضَّل أن يكون محرومًا واستمد عزاءً عظيمًا من هذا الفكر، ولم يكن هذا فكرًا طائرًا، بل كان اشتياقًا متأصلًا في أعماقه، عبر عنه قائلًا: «إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجَعًا فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ.» (رو ٩: ٢). إذًا بماذا نقارن بولس الذي يَئِنُّ يوميًّا من أجل كل إنسان في هذا العالم، من أجل كل جنس ومدينة، من أجل كل نفسٍ؟ لقد كانت عزيمته أشدَّ قوة من الحديد، وأحزم من الصُّلْبِ، فبأية كلمات تصف هذه الروح؟! هل نشبِّهُها بالذَّهب أم بالصُّلْبِ؟ إنها أكثر احتمالًا وأقوى من الصُّلْبِ، وأنقى وأثمن من الذَّهب والماس، فبأي شيء يمكن مقارنتها؟ لا شيء! لأنه لا يمكن مقارنتها! فإن كان الذَّهب في نفس قوة الصُّلْب أو أن الصُّلْب له نفس قيمة الذَّهب لأمكننا وضع أُسس للمقارنة، لكن لماذا نقارن نفس بولس بالصُّلْب أو الذَّهب؟ ناشد العالم كله وحينئذ ستجد أن العالم كله غير مستحق لنفس بولس، وإن تطابق هذا القول على الذين هاموا في البراري لابسين المسوح وساكنين في شقوق الأرض (عب ١١: ٣٧-٣٨)، ينطبق هذا القول على نفس بولس.

فإن كان العالم لا يستحق فمن يستحقه؟ ربما السماء؟ حتى إن هذه وُجدت لا تتوافق معه، لأنه إذ فضَّل محبة الرَّبّ على السموات وسكانها، فبالأولى إنَّ الرَّبّ الذي يفوق صلاحًا بقدر ما يفوق الصلاح على الخطيئة سيُفضِّلُه على سموات كثيرة! لأن حب الله لا يمكن مقارنته بمحبتنا، لأنه يفوقه كثيرًا وبشكل لا يُنطق به!

لنتأمل ما تمتع به بولس من نِعم ومواهب، فقد ٱختُطِفَ إلى الفردوس، إلى السماء الثالثة وتمتع بالشركة في كلمات سرائرية لا ينطق بها (٢كو١٢: ٢، ٤)، فاستحق كل كرامة. لأنه حينما جال في الأرض كان كمن بصحبة الملائكة، وبالرغم من فخاخ الجسد المائت كان ملائكيًا في نقاوته، وبالرغم من ضعف بشريَّته جاهد ليصير ملائكيًا كالقوات العلوية، وكان سلوكه في العالم كمن يسكن جناحَيْ طائرٍ وككائن غير قابل للفساد. احتقر كل المصاعب والأخطار. احتقر كل شيء على الأرض، كمن امتلك السماوات، لمن اختبر رؤية سرمدية، كمن عاش وسط الملائكة في السماء. إن مهمة الملائكة كانت خدمة البشر وحراستهم ولكن لم يستطع أحد القيام بالمهام الخاصة لكل فرد، واحتياجاته الخصوصية مثلما فعل بولس لكل الأرض.

نعمة الله لا تقلّل من كرامته!

أوافقك لو اعترضت أن بولس لم يعمل هذه الأشياء بنفسه، ولكن حتى وإن لم يحقّق هذه الأعمال بقوَّته الشخصيَّة، فذلك ليس ذلك مبرِّرًا للحدِّ من تكريمه لأنه أثبت جدارته واستحقاقه للنعمة المُعطاة له.

كانت رسالة ميخائيل هي الاهتمام بشعب اليهود (دا ١٢: ١)، أما مهمة بولس الرسول فكانت للأرض والبحار المسكونة منها وغير المسكونة، وهذا لا يعني التقليل من رسالة الملائكة! حاشا! لكنني اوضِّح أن الإنسان يمكنه التمتع بشركة الملائكة بل يصير في نفس الرتبة والمكانة.

سلطانه الرسولي الفائق

لماذا لم تُرسل الملائكة في مهمة الكرازة بالإنجيل؟ لكي لا يكون للإنسان عذر في كسله أو إهماله، فيُبَرِّرَ نفسه بحُجة اختلاف الطبيعة البشريَّة عن الملائكيَّة، لأن الفرق عظيم. ومن العجيب حقًا إن

الكلمة المنطوقة من لسان ترابي لها القدرة على اقتلاع الموت، وغفران الخطايا، وتعيد النظر للعميان، وتحول الأرض سماءً، وهذا يجعلني أتعجب من قدرة الله، ويزداد إعجابي وإكرامي لغيرة بولس لنواله تلك النعمة وتهيئة نفسه وإعدادها حتى يستحق نوالها.

إني أُحثُّك لا لتتعجَّب، بل لتقتدي بالمثال الأعلى للفضيلة، وبهذه الطريقة تستحق أن تُشاركه في إكليله، ولا تُفاجأ بأنه يمكن لأي شخص أن يصير كبولس في خدمته، لو تمثَّل واقتدى به وليردِّد في قلبه كلمات بولس: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً.» (٢ تي ٤: ٧، ٨).

رأيت كيف يدعو الجميع لمشاركته في إنجازاته، وبالتالي فالمكافأة أيضًا معروضة ومفتوحة للجميع. فلنجتهد جميعنا لنثبت استحقاقنا للبركات الموعودة لنا، ولننظر ليس فقط لعظمة ومجد الحياة في الفضيلة، لكن نتأمل أيضًا في ثبات الهدف الذي من خلاله نحقِّق هذه النعمة. ولنعرف أن بولس لم يختلف عن طبيعتنا بأيَّة حال من الأحوال، ولكنه كان مثلنا، وهذا يجعل ما يبدو صعبًا ومستحيلًا بالنسبة لنا قد صار سهلًا وخفيفًا، لأنه بعد هذا الوقت القصير من العمل والجهاد سنرتدي إكليل عدم الفساد الأبدي بواسطة نعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والكرامة الآن وكل أوانٍ وإلى أبد الآبدين. آمين

من أهم الأمور التي يجب على الوالدين أن يؤدِّياها لأطفالهما، أن يؤسِّسا ارتباطًا دائمًا وذا معنى مع طفلهما. فإن فعلتما هذا فستوفِّران لنفسيكما الأساس الذي يحتاجه طفلكما لمجابهة ظروف خطرة بنجاح. وهذه بعض النقاط لتُنمي وتُقوِّي لدى كلٍّ من الأب والأم هذا الارتباط الحيوي:

† يجب أن تقبل (أيها الأب وأيتها الأُم) وتؤكِّد لطفلك مَن يكون هو، سواء كان يؤدِّي واجباته حسنًا أم لا. اقبل في نفسك العطية التي أعطاها لك الله في طفلك كما خلقه هو، وساعد طفلك على أن يكتشف الميزة التي في دعوة الله له في حياته.

† يجب أن تعيد ترتيب أولويات مواعيدك حتى يمكنك أن توفِّر وقتًا كافيًا ومنتظمًا تقضيه مع طفلك. وليس المطلوب "الكَم من الوقت" بدون "الكيف من الوقت". فالكيفية الصحيحة للَّحظات التي تقضيها مع طفلك ستحدث تلقائيًا حالما تشرع في قضاء يومك مع طفلك. إنَّ التضحية ببعض المواعيد والأعمال أمرٌ لابُدَّ منه، ولكنها تضحية جديرة بالثمار التي ستجنيها (سواء أنتَ أو زوجتك).

† حينما تقضي وقتًا ما مع طفلك، اشترك معه في بعض الأنشطة التي تزيد من ارتباطكما معًا. ومن أقوى هذه الأنشطة القراءة والدراسة اليومية المشتركة في الكتاب المقدس والكتب الروحية المفيدة، وكذلك في مشاهدة فيلم فيديو عن الكتاب المقدس أو سَيَرِ القديسين أو الخروج معه في قضاء مصلحة ما أو نزهة، أو إصلاح شيء ما في المنزل، أو إعداد وجبات أو عطايا لبعض الجيران الفقراء أو إخوة الرَّبّ في الكنيسة.

† في شئون الأسرة حينما يستدعي الأمر اتخاذ قرارات، اطلب إرشاد الله بإيمان، حيث تمزج المحبة مع الحقّ مع الإيمان. واشتراك طفلك معك في هذا سيزيد ارتباطك به ارتباطًا صحيًّا مقدسًا. وقد أثبتت التجارب المبنية على دراسات أكيدة أن الآباء والأُمهات الذين يؤدِّبون بتمييز أبنائهم، بينما يحبونهم بشدَّة، يُثمرون أبناءً أصحَّاء روحيًّا ونفسيًّا وعقليًّا.

† وبدلًا من مجرد إسداء النصيحة لطفلك عمَّا تريد أن يكون عليه، جسِّم هذا المثال في نفسك حتى يرى كيف تكون الحياة السليمة الصحية، وحتى يفهم لماذا يجب اختيار ما هو صالح، ونبذ ما هو ضار. وحينما تُخطئ فلتجعل ابنك يرى كيف تعترف بالخطأ، وكيف تنال الغفران من الله، وكيف تتكل على نعمته لتصحيح الخطأ. (**احذر المقولات الشائعة أن الاعتراف بالخطأ يُصغِّرك في عيني ابنك أو مَن هو أصغر منك، لأنه لابد سيُدرك الخطأ الذي وقعتَ فيه، وستصغر في عينيه إن لم تعترف بخطئك أو لم ترجع عنه، إن لم يكن هذا في صغره فسيكون ذلك في كِبَره، وستكون العاقبة حينئذ وخيمة**).

† صَلِّ لله ليُعلِّمك كيف يجب أن تُربِّي ابنك، وضَع أهداف تربيتك بناءً على ما يرشدك إليه الله. تذكَّر أن كُل طفل هو مميَّز بمواهب وصفات خاصة، ويمكنه أن ينمو نموًّا أفضل لو اعتنيت به، خاصة على ضوء معرفتك لشخصيته المميَّزة.

† كُن خَلَّاقًا لتستخدم الفُرص التي تُضرم فيها مواهب طفلك في النُمُوّ في كافة المواقف، مُحتفظًا بأهداف تربية ذهنه وروحه ليكون في المستقبل رجل الله، والمواطن الصالح، والمُفكِّر الناضج.

† إن أمثلة شخصيات الكتاب المقدس في طفولتهم خير مُعوانٍ لك وخير قدوة لطفلك لبلوغ أهداف تربيتك له.

والرَّبّ يُبارك ويُكمِّل حياتكم

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثاني عشر

«هكَذَا أَيْضًا أَمَرَ الرَّبُّ: أَنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ، مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْتَعْمِلْ شَيْئًا مِنْ هذَا، وَلاَ كَتَبْتُ هذَا لِكَيْ يَصِيرَ فِيَّ هكَذَا. لأَنَّهُ خَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ أَنْ يُعَطِّلَ أَحَدٌ فَخْرِي. لأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُبَشِّرُ فَلَيْسَ لِي فَخْرٌ، إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ هذَا طَوْعًا فَلِي أَجْرٌ، وَلكِنْ إِنْ كَانَ كَرْهًا فَقَدِ اسْتُؤْمِنْتُ عَلَى وَكَالَةٍ. فَمَا هُوَ أَجْرِي؟ إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ بِلاَ نَفَقَةٍ، حَتَّى لَمْ أَسْتَعْمِلْ سُلْطَانِي فِي الإِنْجِيلِ.» (١كو ٩: ١٤-١٨).

تتوالى اللحظات فتحبك نسيج الزمن. وكل لحظة، مضيئة كانت أم مظلمة، تدفع سفينة حياتنا التي تُبحر من مضيق إلى مضيق ومن جزيرة إلى جزيرة حتى النهاية، حتى الوصول إلى محيط الأبديّة.

وتوالت السنوات مُثقلة أيضًا بالمِحَن. لم يَكُن يمضي يوم تقريبًا من دون حُزن أو مرارة أو هموم أو فخاخ أو دسائس صغيرة.

ولما كادَ نكتاريوس ينهي ترتيب الأوراق التي كتبها في الجبل المقدّس بكثير من العناية والاندفاع، حتى وصلته رسالة عاجلة من البطريرك قسطنطين الخامس، وفيها يطلب منه بعض المعلومات. ويُعْلمه بأنَّ أحد الشمامسة ويُدعى فيلاريتوس، قد تورَّطَ في عمليّة غير شريفة. وكان هذا الشماس يعيش في دير الأيبيريين: وكان ابنًا روحيًّا لنكتاريوس، وقد رسمه بنفسه. إلَّا أنَّ هذا الشماس الشَّاب قد اتفق مع بعض المزوِّرين على تقليد ختم الجبل المقدَّس، لسببٍ بقِيَ مجهولًا.

وجاء في رسالة البطريرك أنه يعتقد أنَّ هذا الشماس يقطن مع نكتاريوس وأنَّه تحت حمايته، لذلك فهو يطلب من نكتاريوس معلومات رسميّة عنه.

والحقيقة أنَّ هذا الشماس كان قد جاء مرَّة إلى **مدرسة ريزاريو** – كما جاء غيره أيضًا – وأُضيفَ فيها لمدة يومين. وقد أبدى الكثير من مظاهر التقوى والطَّاعة، ثمَّ رحَلَ دون أن يترك عنوانه.

وقد ملأت هذه القضيّة نفس نكتاريوس بالمرارة. فطلب البحث عن الشماس في كُل أنحاء المدينة دون جدوى، إذ كان مختبئًا في مكانٍ ما. ولم يَكُن نكتاريوس يعرف كيف يردُّ على البطريرك. فأمضَى خمسة أيَّام وخمس ليالٍ في الصلاة لكي يجد الحلّ. وكانت النتيجة أنَّ البطريرك قسطنطين توقَّفَ عن الكتابة.

لقد كانت هذه وخزة جديدة من المُجرِّب، من بين الكثير غيرها. آه هذا المُجَرِّب، لم يَكن هناك شيء قادر على إضعافه، ولا على التخلُّص منه أو حتى إبعاده!

مع كُل صباح كانت تبدأ انشغالات نكتاريوس المعتادة وهموم المدرسة، ومشكلات الطلاب التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى. والتعب الذي يُلاقيه في الاهتمام بآلاف التفاصيل الصغيرة. وبالإضافة إلى كُل ذلك صارَ عليه الآن أن يأخذ على عاتقه أمر الشعب كلّه الذي بدأ يحيك حوله سمعة جديدة رغمًا عنه. هذا الشعب الذي كان يقوده كأبٍ روحي وواعظ وكاهن.

وإذا كان الشَّرّ يُلقي بشباكه ويُطلق سهامه المسمومة ليجتذب الجماهير إلى الطريق الواسع، إلَّا أنَّ الفضيلة المجاهدة تُطلِق هي أيضًا إشعاعات مُضيئة لا تتوقّف، وتجتذب بطريقتها الخاصة جميع النفوس العطشى لشيء آخر غير الماديّة الكليّة القوّة.

وقد تناقلت هذه الجماهير من الناس من كُل الأعمار والمِهَن والطَبَقات الاجتماعيّة، بأنَّ الحياة والنَمط المُتَّبَع في **مدرسة ريزاريو** قد تغيَّرا. وتحدَّثَ الناس عن الخِدَم الليتورجيَّة التي قامَ بها بكثير من الورع في الكنيسة البسيطة، والموعِظات المُؤثِّرة التي يُلقيها هذا الكاهن الراهب مدير المدرسة، الذي يذوب كالشمعة أمام المصلوب.

«تَعَالَ وَانْظُرْ» (يو ١: ٤٦)، قال أحد أوائل الرُسل في حديثه عن المسيح. وصاروا يقبلون الواحد بعد الآخر وينظرون ... وبحسب استعدادهم الداخلي كانوا يتلقّون نارًا في قلوبهم ويأخذونها معهم، قليلة أو كثيرة. ولكنها شُعلة لا تقدر الرِّياح الشماليَّة ولا الجنوبيَّة أن تُطفئها بسهولة. وكانت تلازمهم على الدوام وتَحُولُ بينهم وبين النسيان والضَياع. كان هذا نقلًا لتلك النار المُقَدَّسة التي تشتعل في حلبة الجهاد النبيل، وتُعطي الحنين إلى الأبديَّة.

نفوس كثيرة أتت من ضواحي المدرسة، ومن مكان أبعد أيضًا، من شوارع **ليكابيت وديكسامينى الصغيرة** ... وكانت تتجَمَّع صباح كُل أحد مُحاولة اختراق البوابة للمشاركة في هذه الخِدَم الليتورجيَّة المليئة بالورع، وللتعرُّف إلى هذا الأسقف الفريد من نوعه الذي كان الوصول إليه أسهل من مقاربة أصغر الشمامسة، أو حتى القندَلفت. كان يكفي أن يُقال له بكل بساطة: «صباح الخير»، وأن تطلب منه الاعتراف أو تَلَقّي النُصح، أو طلب تسكين الأحزان الكثيرة والمآسي التي لا تنتهي والتي يحملها معه كُلَّ يوم.

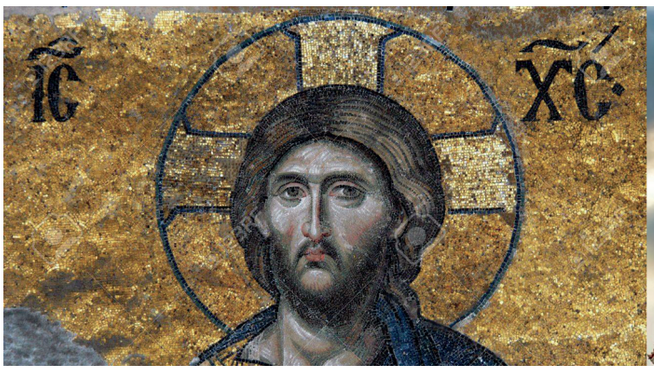

الزَّواج قاعدة ثابتة في خليقة الله، والخليقة هي الكون والإنسان بشكل خاص ومعه العالم الرُّوحي. وعلى هذا البناء الإلهي يُشرق نور المسيح لكي يعطي الحياة الجديدة، ويعطي لنا كل ما يمكن أن تقبله الطبيعة الإنسانية التي أحبها قَبْل خلقها، واتَّحَدَ بها في ملء الزمان والتاريخ، وأَعْتَقَتْهَا فيه وحرَّرها ثم نقلها إلى مجده السماوي.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** للموعوظين المتأهِّبين لنوال **سرّ المعمودية المقدسة**:

١) – هذا زمان الفرح والبهجة الرُّوحيَّة. ها أيام انتظار محبتنا، أيام زواجنا الرُّوحي قريبة.

وعندما أدعو هذا اليوم بيوم الزَّواج الرُّوحي، يبدو للبعض خرقنا لكل ما هو مألوف. ولكن اسم الزَّواج وحده لا يكفي، بل هي أيام عجيبة وما يحدث فيها هو فائق، حتى أنها يمكن أن توصَف أيضًا بأنها تَطوُّع في خدمة الجيش.

ولا يوجد تناقض بين الزَّواج والخدمة العسكرية، وإذا تَوهَّم أحدٌ بوجود هذا التناقض عليه أن يستمع **لمعلِّم المسكونة المبارك بولس** في موضع يقول فيه: «خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.» (٢ كو ١١ : ٢). وفي موضع آخر كان يحثّ فيه المجاهدين الرُّوحيين على حمل السلاح لكي يستعدوا للذهاب للحرب الروحية: «الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ.» (أف ٦ : ١١)

٢) – حقًّا في هذا اليوم فرحٌ في السماء وعلى الأرض، لأنه إن كانت السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، فكم بالحريّ يكون فرح الملائكة ورؤساء الملائكة وكل القوات العلوية، والكائنين على الأرض، عندما يرى كل هؤلاء كنيسة تقتحم **الشيطان** فجأة وتسخر من فخاخه، وتسير بعزم لكي تنضم إلى قطيع المسيح.

٣) – تعالوا وأَنصتوا، لأنَّني أريد أن أتكلَّم عن العروس التي تستعد لأن تدخل مخدع الزَّواج المقدَّس، وسوف أشرح لكم عن غِنَى العريس الفائق ومحبته الفائقة التي أعلنها لعروسه.

ولن أمتنع عن أن أُشير إلى ماضيها الدَّنِس الذي هربت منه وجاءت إلى مستقبل مجيد سوف تفرح وتتعزَّى به... ورغم فداحة حالتها الساقطة إلَّا أنَّ العريس لا زال يطلبها.

إنه يُعلن لها محبة سيِّدنا جميعًا التي بلا حدود.

إنه لم يدعها كعروس لأنه اشتهى جمال وجهها أو جمال جسدها الذي يفيض بالحياة. العكس هو صحيح، العروس التي أحضرها إلى مخدع الزَّواج، **هي مُشَوَّهة، قبيحة نَجِسَة نجاسة تامة وحقًّا تتمرَّغ في حمأة خطاياها.**

٤) – ويجب على مَنْ يسمع كلماتي ألَّا يسقط في التصوُّر المادي الجسداني عن هذا الزَّواج، لأنَّني أتكلَّم عن النفس وعن الخلاص، وهذا ما قَصَدَهُ بولس المبارك ذو النفس الزكية التي فاقت نفوسًا كثيرة: «خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.» (٢ كو ١١ : ٢)، لأنه يعني أنه خطب للمسيح عذراء عفيفة أي النفوس العفيفة العذراوية التي تتقدَّم دائمًا نحو النَّقاء.

٥) – ولأنَّنَا حَدَّدنا معنى هذا الزَّواج، علينا أن نشرح الآن كيف كانت العروس مشوَّهة ونجسة، لأنَّنَا عند ذلك سوف نتعجَّب من حنان السيِّد.

هل يوجد أكثر قُبحًا من النفس التي تركت مجدها الحقيقي، ونسيت أصلها النبيل لأنها خُلقت سماوية، ولكنها انحطَّت في عبادة الأوثان المصنوعة من الحجر والخشب والحيوانات التي لا تتكلَّم، وأمور أخرى قبيحة أكثر من هذه عندما كانت تتنسَّم رائحة المحرقات: الشحم، والدم القذر ودخان الذبائح؟ (١)

وبعد أن يشرح القديس يوحنا الذهبي الفم حالة النفس يقول:

ولما رأى السيِّد الصالح مِحْنَةَ العروس نَزَلَ إلى ما يمكن أن يوصف بأنه عمق هاوية الشَّر، عاريًا ومتواضعًا، ولم يُبالِ بقبحها وفقرها التَّام وشرّها الفظيع؛ بل أعلن حنانه الفائق، وأخذها عنده، وهذا ما يعلنه كقرار لا رجعة فيه عندما يقول بواسطة النبي: « اسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ» (مز ٤٤ : ١٠و١١).

كيف كُوِّنتِ الكنيسة

العظة الحادية عشرة قبل إتمام المعمودية

٦) – لقد جئتُ لكي أقول لكم: إنَّه بعد يومين سوف يأتي العريس. قوموا أشعلوا مصابيحكم لأنكم بنورها سوف تقبلون مَلِك السماء. قوموا وانتبهوا، ليس فقط في النهار، بل في نصف الليل، لأن العريس سوف يأتي.

هذه هي عادة موكب العُرس حيث تسير العروس في موكب لكي تُعطَى للعريس في مساء اليوم.

٧) – عندما تسمعون «هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ!» (مت ٢٥: ٦)، كونوا مستعدين لقبول ما تعلنه هذه الكلمات، لأنها كلمات عظيمة مملوءة من فيضان محبَّة البشر.

لم يأمر الرَّبُّ بأن نأتي إليه، بل جاء هو إلينا، لأنَّ عادة الأعراس أن يأتي العريس إلى العروس، حتى ولو كان العريس كثير الغِنَى والعروس فقيرة مُعدمة.

٨) – أمَّا معنا، نحن البشر، فقد كنا نحن الفقراء المُعدمين، ومع أن العريس من رتبة أعظم إلَّا أنه أخذ طبيعتنا وصار مثلنا.

وأحيانًا يكون العريس غنيًّا والعروس شحَّاذة فقيرة إلَّا أنَّهما رغم ذلك لهما الطبيعة الإنسانية نفسها. أما في زواج الكنيسة بالمسيح فإن الأعجوبة أنَّه هو الله وأنه بلا دنس بل ينبوع كل بركة، وأنتم تعلمون الفرق والمسافة التي تفصل الله عن البشر، ولكنه تنازل وجاء إلينا وترك بيت الآب السماوي، وهو لم ينتقل من مكان إلى مكان، بل – حسب التدبير – أخذ جسدًا لكي يأتي مُسرعًا إلى العروس. لقد أدرك بولس المبارك هذه الأعجوبة الفائقة التي جعلته يندهش من فرط اهتمام المسيح بنا، والكرامة التي أعطاها لنا، لذلك صرخ بولس بصوت عظيم: «مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، ... هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ.» (أف ٥: ٣١ و٣٢).

٩) – لماذا نحسب هذه أعجوبة، لقد جاء إلى العروس رغم أنَّها لم تتوسَّل إليه لكي يأتي إليها ويبذل حياته لأجلها.

لا يوجد شخص واحد، لا يوجد عاشق واحد حتى لو كان مجنونًا جنونًا مطبقًا، واشتعلت فيه نار المحبة بنفس القوة التي في الله، وبنفس رغبة الله في خلاص نفوسنا، وكأن الرَّبَّ يقول: **وحتى لو بصقوا عليَّ، وضربوني، وجلدوني، وصلبوني على الصليب** لكي لا آخذ العروس فإنني لن أتراجع.

١٠) – ولم يحتمل الرَّبّ الآلام ويقبلها لأن العروس جميلة واشتهى جمالها، بل لم يكن هناك ما هو أكثر من عارها الذي يُنفِّر. وهنا يضيف بولس **قبحها وعارها** عندما يقول: « لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلًا أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا.» (تي ٣: ٣).

١١) – كانت شرورنا فائقة حتى أنَّنَا كُنَّا نبغض كل واحد الآخر. ولكن الله لم يبغضنا، ومع أنَّنَا نبغض كل واحد الآخر، إلَّا أنَّه قَبِلَنا نحن الذين في عمق عارنا وفي قبح نفوسنا وَخَلَّصَنَا.

لقد جاء إلَى التي سوف تصبح عروسه، ووجدها عارية ونجسة، ولكنه ألقى رداء النَّقاوة عليها الذي لا يمكن لعقل أو كلمة أن تصف جماله ولمعانه.

١٢) – وماذا أستطيع أن أقول أنا نفسي؟ لقد ألقى نفسه علينا مثل رداء: « لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ.» (غل ٣: ٢٧).

وعندما رأى داود بروح النُّبوءةِ هذا الرداء صرخ بصوت عالٍ وقال: «جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ» (مز ٤٤: ٩).

فجأة صارت الشحاذة المُعدمة، ملكة تقف عن يمين الله. ويعلن النبي (داود) المسيح كعريس والكنيسة كعروس تقف في خِدْر (مخدع) الزَّواج المقدَّس بقوله: «مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا» (مز ٤٤: ١٣)، وهكذا تنبأ عن الثوب.

١٣) – لذلك عندما تسمع عن الذَّهب، ولكي لا تسقط في تصوُّر حسِّي، يرفع داود فكرنا ورؤيتنا إلى غير المحسوس عندما يقول: «كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا (**داخلها**).» (مز ٤٤: ١٣).

١٤) – هل تريدون أنْ أُعلن لكم مشهد العروس المزيَّنة بجمال يشعُّ بهاءً، تحوطها ألوف من الملائكة ورؤساء الملائكة؟

لنمسك بيد بولس لكي يقودنا معًا حيث العروس وهي تُقَدَّم إلى العريس، وهو سوف يفسح الطريق لنا في وسط هذا الحَشْد لكي نقف بجانبها.

ماذا يقول بولس؟ يقول: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ.» (أف ٥: ٢٥و٢٦).

١٥) – هل تَرَوْن جسد العروس لامعًا بنور؟ هل تَرَوْن كيف يشرق جمالها بأشعة أقوى من أشعة الشمس؟ يقول (بولس): «لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ.» (أف ٥: ٢٧).

رداء أو ثوب بِرِّ المسيح:

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في شرح المزمور الخامس والأربعين:

١٦) – رداء لا مثيل له. (مجلَّد ٥٥: ٦٣)،

وفي العظة الثالثة على رسالة غلاطية يقول:

١٧) – لماذا لم يَقُل بولس: أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد وُلِدتم من الله؟ لأن ما قدَّمه من شرح للإيمان يؤدِّي حتمًا إلى أننا صرنا أبناء الله، ولكن بولس يريد أن يشرح الإيمان بأسلوب يُلهم وبشكل ينفذ إلى القلب، لأن المسيح هو ابن الله وأنتم قد لبستم المسيح، ولما لبستموه صرتم مثله، ودخلتم ذات الشركة الواحدة التي تُعطى لكم، حتى أنه لم يعُد بينكم «يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (غل ٣: ٢٨).

وعندما قال بولس: «لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ» (غل ٣: ٢٦)، لم يقف عند هذه العبارة؛ بل أراد أن يُقدِّم ما هو أوفَر لكي يُعلن بشكل أفضل اتحادنا بالمسيح، وليس هناك ما هو أقوى من هذه العلاقة الحميمة في قوله: «قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غل ٣: ٢٧). ولم يجد حتى هذه العبارة نفسها كافية؛ بل عندما شَرَحَهَا هو نفسه فقد قدَّم ما هو فوق الاتحاد نفسه عندما قال: «لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ

يَسُوعَ.» (انظر غل ٣: ٢٨)، أي أنكم جميعًا قد أخذتم شكل وصورة المسيح. وهل يوجد ما يفوق ما تعلنه هذه الكلمات؟ (مجلَّد ٦١: ٦٥٦).

وثوب أو رداء المسيح ليس شيئًا خارجيًّا فقط، بل هو كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في شرح مزمور ٤٥: (٤٤ حسب السبعينية):

١٨) – الثوب هو شيء خارجي يراه الكل، وهذا في حالة الثوب المادي (المصنوع من القماش)؛ أمَّا ذاك الثوب الرُّوحي فهو ما تراه عين الذِّهن من الداخل، لأن الملك نسج هذا الثوب وألبسه للكنيسة في المعمودية: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غل ٣: ٢٧). وقبل ذلك كانت (الكنيسة) عارية وعارها تراه كل عيون الناس الذين يشاهدونها بلا كرامة.

ولكنه (المسيح) وضع ثوبه عليها، ولذلك مُجِّدَت ورُفِعَت إلى مجده، وحُسِبَت مستحقة أن تقف عن يمينه. (مجلَّد ٥٥: ١٩٩).

(1) St. John Chrysostom, Baptismal Instructions, translated and ed. by Paul. W. Harkins, Ancient Christian Writers. Vol. 31. Newman Press, 1963, pp. 23 ff.

من حِكَم الآباء القديسين:
إسكافي الإسكندرية

كان القديس أنطونيوس من أوائل الرهبان الذين تركوا العالم هاربين إلى البَرِّيَّة، وهو يُعتَبَر أبَ الحياة الرهبانية. وكثيرًا ما يُذكَر في الكنيسة أنه «**مُعلِّم البرية**» و «**أب جميع الرهبان**». وقد تجمَّع مع مرور الوقت كثيرٌ من الرهبان حول منسكه، وهكذا وجدوا الهدوء والسلام في وجهه وأقاموا بقربه.

حارب **الشيطانُ** القديسَ أنطونيوس مثل كُلّ القديسين الآخرين، وحاول بحِيَل مختلفة أن يوقِعه في فخه، إلَّا أنَّ رجل الله كان يحاول بكل طريقة أن يواجه حبائل الشِّرير.

ففي أحد الأيام، حاول **الشيطان** أن يُقنع أنطونيوس بأن فضيلته التي وصل إليها بلغت رتبةً عاليةً جدًا، بحيث إنَّهُ في البرِّية وأيضًا في المدينة، لا يوجد شخص مثله في الفضيلة والتقدُّم الرُّوحي. وقد أسرَّ **الشيطان** بأُذنه:

تطلَّع يا أنطونيوس وانظر، مَن مثلك قد وصل إلى هذه الحدود؟ لا أحد. مَن يصوم، مَن يُصلِّي، مَن يتنسَّك كما تفعل أنت؟ لا أحد.

ظهر لبرهة أن أنطونيوس الكبير يُصغي لهذا الفكر، إلَّا أنَّهُ أدرك حيلة **الشيطان** مباشرة؛ ولكن الله الذي لم يسمح بأن يُخطئ القديس أنطونيوس، وجد طريقة ليُعلِّم بها هذا الناسك الكبير.

في ذلك المساء، بعد أن أنهى رجل الله صلاته الحارَّة، وأقفل قنديل الزيت، وأغلق أجفانه قليلًا؛ حينها سمع صوتاً إلهيًّا يرشده بوضوح:

في الطريق المؤدية إلى الإسكندرية تجد إسكافيًا (في بعض المخطوطات : تجد خيَّاطًا) يفوقك قداسةً يا أنطونيوس.

عندئذٍ هبَّ أنطونيوس من نومه متفكِّرًا: إسكافي! هل من الممكن؟ إسكافي يفوق أنطونيوس في النسك والفضيلة؟ حسنًا، سأذهب صباح الغد إلى الإسكندرية.

بعد أن أشرقت الشمس، تناول القديس أنطونيوس عصاه وانطلق إلى المكان الذي أرشده إليه الله.

– « إسكافي في الإسكندرية أعظم من نُسَّاك البرية »، هكذا كان يُردِّد أنطونيوس مرارًا.

في الطريق الفرعية المؤدِّية إلى الإسكندرية هناك دكان صغير، يقبع فيه إسكافي شيخ لا يتصف بمميزات خاصة، بسيط، قليل الكلام، وكان يُصلح حذاءً باجتهاد وعناية.

قال الإسكافي للراهب المتواضع: «باركوا» «إيقلوجيسون» (وهي تحية المسيحيين قديمًا لِمَن يزورونهم).

أجاب القديس أنطونيوس ببساطة: «الرَّبّ يُباركك» (وهي كلمات التحية المسيحية المتبادلة بين المؤمنين بالمسيح).

تابع الإسكافي عمله في تصليح الحذاء وهو يَهُذُّ في أحد المزامير. وبادره القديس أنطونيوس بالسؤال:

– « قُلْ لي أسعدك الله يا بُنيَّ، كيف تُمضِي أيام حياتك»؟

– « لا أعرف، يا أبانا، إن كنتُ قد صنعتُ خيرًا لأحدٍ ما، ولا أتذكَّر إحسانًا ما عملتُه».

– «وكيف تُمضِي حياتك»؟ قاطعه الأب أنطونيوس مُتحيِّرًا.

– « ها أنا أنهض كل صباح وأقول لفكري: كلُّ سكان الإسكندرية، والذين يسكنون أبعد من ذلك، والذين لا أعرفهم، كلهم سيخلصون، إلَّا أنا بسبب خطاياي الكثيرة سأهلك. فنهاري كله يَعْبُر وأنا مستغرق في هذا الفكر. وعند المساء أيضًا أتأمل بالفكرة ذاتها، وألتمس رحمة الله».

نهض أنطونيوس وعانق الإسكافي الفقير وقبَّله بتأثُّرٍ كبير.

– « أنت يا بُنيَّ قد اشتريتَ الكنز الثمين بتعب بسيط! أما أنا فقد شختُ في البرية في الجهادات والأصوام، إلَّا أني لم أصل بعد إلى تواضعك».

ثم تناول الناسك العظيم عكَّازه ومضى في طريق العودة منتفعًا جدًا.

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار
لأبينا القديس كيرلُّس رئيس أساقفة أورشليم
في العُمَّادِ : المراسيم الافتتاحيّة

العظة الحادية والعشرون
الثالثة في الأسرار – في مسحة الميرون

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ. لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ، بَلْ لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ...وَالآنَ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، اثْبُتُوا فِيهِ، حَتَّى إِذَا أُظْهِرَ يَكُونُ لَنَا ثِقَةٌ، وَلاَ نَخْجَلُ مِنْهُ فِي مَجِيئِهِ.» (١يو ٢: ٢٠-٢٨).

٥) – اسم «مسيحي»

وانتم إذ قُبِلتُم لهذه المسْحَة المُقَدَّسة دُعيتم مسيحيين، وميلادكم الثاني أيَّدَ شرعية هذه التسميّة. وقبل ان تستحقوا نوال العماد ونعمة الرُّوح القُدُس، لم تكونوا تستحقون هذا الاسم فعلًا، ولكنكم كنتم سائرين في الطريق الذي يؤهّلكم لاسم مسيحيين.

٦) – مثال المسحة في العهد القديم

ويجب أن تعلموا أنَّ هذه المَسْحَةَ لها مثالها في العهد القديم. اذ عندما أبْلَغَ موسى أَخاه أَمْرَ الله، ونَصَّبَهُ رئيس كهنة، غَسَلَهُ بالماء أولًا ثمَّ مَسَحَهُ (احبار ٨: ١-١٢). ودُعِيَ هٰرون «مسيحًا» بسبب هذه المَسْحَةَ التي كانت رمزًا. وكذلك عندما نادى رئيسُ الكهنة بسليمان مَلِكًا، مَسَحَهُ جيحون بعد ان جعله يستحمّ (٣ ملوك ١: ٣٣-٣٩).

وكُلُّ هذه الأمور أُجرِيَت لهم على سبيل الرمز. أمَّا لكم فلم تَكُن رمزًا بل حقيقة واقعيَّة. إذ ان مبدأ خلاصكم يرجع الى ذاكَ الذي مَسَحَهُ الرُّوح القُدُس. هو الباكورة حقًا، وانتم العجين. « فإنْ كانت الباكورة مُقَدَّسة فالعجين كلّه مقدَّس» (رومة ١١: ١٦؛ ١كور ٥: ٦-٧).

٧) – حَافِظُوا على المَسحَة بلا دنس.

حافظوا على هذه المسحة بلا دنس، فهي تُعلّمكم بكلّ شيء، شرط أن تقيم فيكم، كما سمعتم ذلك الآن على لسان الطوباوي يوحنا (١يو٢: ٢٧).الذي أعطانا تعليمات حكيمة كثيرة عن هذه المَسْحَةَ. هذه المَسْحَةَ المقدَّسة صِيانةٌ روحيَّةٌ للجسدِ وخلاصٌ للنفسِ. فمنذ قديم الزمان تنبأ عنها الطوباوي اشعيا بقوله: «هذا ما سيفعل الرَّبّ لجميع الشعوب على هذا الجبل» (اشعيا ٢٥: ٦). ﴿ وما يسميه «الجبل» هو الكنيسة، كما قال ذلك في موضعٍ آخر مثلًا: «ويكون في آخر الأيام ان جبل بيت الرّب يُوطَّد في رأس الجبال» (اشعيا ٢٥: ٦) ﴾. ولكي تزدادَ تأكيدًا أنَّ هذا الدهن يجب ان يُفهَم بالمعنى السِّرّي، يقول: «بَلِّغ كُلّ ذلك الى الشعوب، لأنَّ تصميم الرَّبّ يمتدّ الى كُلّ الشعوب» (اشعيا ٢٥: ٧). وإذ قَد مُسِحتُم بهذا الدهن المُقَدَّس، فاحفظوه فيكم بلا عيب ولا دنس. تَسَاموا في الأعمال الصَّالحة، سَاعِين على ارضاء مَبدأُ خلاصنا، يسوع المسيح الذي له المجد أبد الدهور. آمين.

« يقول الكتاب أن الله امتحن إبراهيم. فَلِمَ امتحنه؟
ألم يعرف الله أن إبراهيم كان إنسانًا نبيلًا ؟ فلماذا امتحنه؟
امتحنه لكي يُظهر للملأ فضيلته وقياديته.
وهنا يظهر سبب التجارب، لئلا يظن الناس أنهم يتألمون كمنسيين».

« انتبهوا من ألا يتخلف أحد عنكم، فأنا لا يبهجني أن تصلوا أنتم فقط، ما يبهجني هو أن تعتنوا بالآخرين أيضاً. لا تقل لي: إنسان واحد فقط سيضل. فالمسيح من أجل هذا الفرد مات، ألا تعتني بمن مات المسيح من أجله؟ ».

« ليس مسموحًا للمسيحيين أن يمارسوا القَهر ضدّ أحد، حتى لو كان ذلك من أجل أهداف صالحة. فَحَرْبُنَا لا تجعل الأحياء أمواتًا، بل تجعل الأموات أحياء، لأنها تُمارَس بروح الوداعة والتواضع. فأنا أُدين بالكلام وليس بالعنف، أُدين الهرطقة وليس الهراطقة. هكذا كان المسيح منتصراً كمصلوب وليس كصالب».

القديس يوحنا الذهبي الفم

«أطلب إليكم باسم ربّنا يسوع المسيح، أن لا تتوانوا عن حياتكم وخلاصكم، ولا تدعوا هذا الزمان الوقتي اليسير يسرق منكم الزمان الأبدي الذي لا نهاية له، ولا هذا الجسد اللحمي أن يُبعدكم عن المملكة النوارنية التي لا تُحدُّ ولا تُوصَف، ولا هذا الكرسي الفاني الهالك أن يُنزلكم عن كراسي محفل الملائكة».

القديس أنطونيوس الكبير
الرسالة الخامسة

حينما خاطب القديس يوحنا الذهبي الفم شعبه سواء مباشرة من على المنبر أو بالمقالات المكتوبة، كان يستعرض فهمه للطبيعة البشرية ولتقلُّبات الحياة اليومية. وقد كان اهتمامه الأول أن يسمو بشعبه ويجذبهم ليقتربوا أكثر فأكثر من شخص الرب يسوع المسيح. كان يحاول باستمرار، ليس فقط أن يُعلِّمهم كيف يحيون حياتهم متشبِّهين بالمسيح، بل وأيضًا كيف يُنمون حياتهم الروحية. وكانت الصلاة من بين الموضوعات التي كان يُكثر الحديث عنها. وفي شروحاته للمزامير يتناول هذا الجانب الهام: «**الصلاة**» بتوسُّع، وإن لم يَكُن على سبيل الحصر(١).

ولا يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن الصلاة من جهة أنواعها المتعددة (صلاة التمجيد، صلاة التوسُّل... إلخ)، بقدر ما يتكلَّم عن هدف أن استجابة الله لصلاتك بأي نوع كانت. ويدور تناوله لهذا الجانب من الصلاة حول داود النبي والمرنِّم، وكيف كان يسعى لإرضاء الله حتى يستجيب له.

وفي شرحه للمزمور السابع الذي يصفه بأنه ترنيمة شكر لله بعد انتصار داود على ابنه أبشالوم (٢)، يُعدِّد القديس يوحنا الذهبي الفم ستة شروط لاستجابة الله لصلواتنا.

شروط استجابة الصلاة:

أولًا: أن تكون جديرة بالقبول من الله،

ثانيًا: أن يُصلِّي الإنسان بما يتوافق مع شرائع الله،

ثالثًا: أن يُصلِّي الإنسان على الدوام وباستمرار،

رابعًا: أن لا نطلب متاع الأرض في صلواتنا،

خامسًا: أن نطلب ما هو نافع حقًّا لنا،

سادسًا: أن نفعل كل ما في مقدورنا فعله من صلاح (٣).

عظات القديس يوحنا ذهبي الفم:

إن العلاقة بين الصلاة والحياة عمومًا، هي موضوع رئيسي في شروح المزامير للقديس يوحنا الذهبي الفم، ولا يعسر علينا العثور عليها كثيرًا في سائر عظاته الأخرى. فالحياة التي يعيشها الإنسان، والطريقة التي يُعامِل بها رفقاءه من بني البشر، وما يكمن داخل أعماق نفسه، كل هذه أمور ضرورية للصلاة الناجحة، تمامًا مثل أهمية كلمات الصلاة نفسها. كما أنه ليس هناك أسلوب محدَّد للكلمات التي نُرضي بها الله، فمعاني الكلمات والإحساسات التي تقف وراءها هي التي تهم.

وهنا يتضح تأثير رسائل القديس بولس الرسول. فالقديس بولس كثيرًا ما تكلَّم عن سلوك الحياة كما يحقّ للرَّبّ، وفي كولوسي ١:١٠ يصف مثل هذه الحياة بأنها الإثمار في كل عمل صالح. وفي تسالونيكي الأولى ٥:١٧ يحثّ المسيحيين على الصلاة الدائمة. وهو في هذا يكرّر الوصية في رومية ١٢:١٢: «مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ»، وتصريحه في أفسس ٦:١٨: «مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ». أمَّا عن الحياة بحسب مشيئة الله فيوصي الرسول المسيحيين في رومية ١٢:٢: «وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ» (أي لا تعيشوا بحسب هذا العالم)، ويوبِّخ بولس الرسول مسيحيي فيلبي الذين «يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ.» (في ٣:١٩). ويربط الذهبي الفم بين الشرط الخامس لاستجابة الصلاة وبين القديس بولس حينما صلَّى إلى الله أن يرفع عنه الشوكة التي في جسده فلم يُستَجَبْ، بأنها مَثَل للصلاة من أجل ما ليس نافعًا للإنسان.

ومما لا شكَّ فيه أنه كان للقديس بولس تأثير عميق في تعاليم القديس يوحنا الذهبي الفم. وكثيرة جدًا هي إشارات القديس يوحنا الذهبي الفم في كل كتاباته، وفي بعضٍ من باقي أعماله (وإن لم يكن في شروحه على المزامير) حيث يُسجِّل إعجابه بلا حدود بالقديس بولس. ويرجع الذهبي الفم إلى القديس بولس ليس بمجرد ترديد نصوص من رسائله؛ بل هو يستغرق في كتاباته فيرجع إلى مضمون مفاهيمه اللاهوتية حينما يتناول موضوعًا ما. وكمثال لهذا، ما نراه في الشروط الستة لاستجابة الصلاة. فباستثناء الصلاة بلا انقطاع «صَلُّوا بِلاَ ٱنْقِطَاعٍ» (١تس ٥:١٢)، فإن باقي الأمثلة المستقاة من رسائل بولس الرسول لا تختص بالصلاة بالذَّات، بل بوصايا بولس الرسول للسلوك في الحياة المتمثِّلة بالمسيح. مما يلفت نظرنا إلى أن الصلة بين الحياة المتمثِّلة بالمسيح وبين الصلاة الناجحة هي لفتة يتميز بها القديس يوحنا الذهبي الفم.

وهذه الدراسة قائمة على شروط الذهبي الفم الستة كما يشرحها ليس فقط في تفسيره للمزمور السابع، بل وفي كل شروحاته على المزامير. وفي هذه الدراسة قسَّمتُ هذه الشروط إلى قسمين اثنين: الشرطان الأول

والسادس مختصَّان بالحياة والصلاة كشرطين لاستجابة الصلاة، والشروط من الثاني إلى الخامس مختصَّة بمضمون الصلاة.

والقديس يوحنا الذهبي الفم يتكلَّم عن كاتب المزامير باعتباره «**النبي**»، وهو ليس إنسانًا آخر سوى **داود**. وتشمل الشروط الستة الحياة بأكملها، وبكلمات القديس يوحنا فإنه لكي تتحقَّق هذه الحياة، فإنه لابُدَّ من أن يصحب المزمور القارئ في كل مستوى من مستويات حياته الشخصية. وحينما يُقدِّم داود باعتباره مؤلِّف المزامير ويرجع إلى الأحداث التي تمَّت في سيرته ليشرح هذه المزامير، فإنَّ الذهبي الفم يُقدِّم داود للقارئ باعتباره شخصًا حقيقيًّا يتحدث عنه. وهو بهذا يوفِّر لنا تعمُّقًا في نصوص المزامير أكثر مما تعوَّدنا عليه من تفاسير المزامير.

الحياة والصلاة معًا لضمان استجابة الصلاة:

لكي نستحق أن ننال استجابةً لصلواتنا، فهذا يتطلب بالضرورة أن نعمل كل ما في وسعنا. وهذا يعني: طريقة الحياة، ووضع الصلاة، ما يجعل الله مُنصتًا لصلواتنا. ويَعتبر القديس يوحنا الذهبي الفم **داود** أنه بالدرجة الأولى المعلِّم لهذه الأمور. فهو ليس فقط مستحقًّا لاستماع الله له، بل هو أيضًا جديرٌ بأن يكون قدوة للآخرين.

الاستحقاق في الصلاة:

حينما يتحدَّث الذهبي الفم في «شرحه لمزمور ٧»، عن تعقُّب **أبشالوم لداود**، يضع تأكيدًا على رَدِّ فعل داود لهذه الضيقة، حيث تظهر شخصية الرجل بوضوح. وحتى بعد أن **قتل أبشالوم أخاه**، يقول الذهبي الفم إنَّ داود عامَل ابنه برفق (٤)، ثم بالرغم من أنَّ **أبشالوم** انقلب حينئذ على أبيه واضطره إلى الهرب خوفًا على حياته، فإن داود يظلُّ يقول لجنوده: «تَرَفَّقُوا لِي بِالْفَتَى أَبْشَالُومَ» (٢صم ١٨: ٥) (٥). وحينما بلغ داود خبر مقتل **أبشالوم** صرخ باكيًا منزعجًا: «يَا لَيْتَنِي مُتُّ عِوَضًا عَنْكَ! يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي، يَا ابْنِي...» (٢صم ١٨: ٣٣) (٦). لقد عانى داود عداءً شديدًا على يدي ابنه، ويُعلِّق القديس يوحنا الذهبي الفم بأنَّ داود تألَّق كالذهب في بوتقة الانصهار، إذ صار أكثر نقاءً بسبب هذه المحنة القاسية (٧).

ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم في عُزلة داود وضعفه الواضح نموذجًا لانتصار الفضيلة على الرذيلة، لأن الفضيلة ـ كما يقول الذهبي الفم ـ يقف الله لها حاميًا ومعضدًا (٨). ويحثُّنا أن نقتدي بهذا المثال الذي يُقدِّمه داود بكلماته في المزمور: «يا رب إلهي، فيك وثقتُ، فخلِّصني.» (٩) (**مز ٧: ١ ـ بحسب النص في شروح الذهبي الفم**). وهذه النصيحة التي يُسديها لنا الذهبي الفم تربط بين الحياة والصلاة.

وتتضح فضيلة حياة داود العالية من بدايات مُلكه. ففي ٢صم ٧: ١٤ – ١٦ يُعلن الرَّبّ أنَّهُ سيُثبِّت مملكة داود إلى الأبد، وسوف يؤدِّبه إن أخطأ، ولكنه لن ينزع رحمته منه كما نزعها من **شاول الملك**.

ولكن إن كان الذهبي الفم قد أوضح أن حياة الفضيلة العالية ضرورية لحياة الصلاة الناجحة، فماذا يا تُرى قال عن **خطيئة داود العظيمة** مع بتشيبع (בת שבע)؟ لا شكَّ أن كلامه ذو أهمية وحاسم لنفهم تعليمه عن علاقة **الخاطئ بالله** وفرصته في الصلاة الناجحة.

وفي الشروحات كما هي متاحة لنا اليوم، يرجع الذهبي الفم إلى مرجعين في هذا الموضوع. ففي شرحه لمزمور ٦ يقول إن داود ارتكب خطيئة القتل، إلَّا أنَّهُ اختبر «محبة الله للبشر» Philanthropia (١٠). وفي شرحه لمزمور ٤ يتكلَّم عن المعاناة القاسية التي أصابت داود بسبب شهوته الآثمة (١١).

ويُقدِّم القديس يوحنا الذهبي الفم تعليقًا مطوَّلًا على هذه المسألة في «عظاته على إنجيل متى ـ العظة ٣٦»، حيث يصف ارتكاب **داود للزِّنى والقتل** بأنه «**مرض**»، تفاقم سُوءُه بسبب حقيقة أنه لم يكن فقط رجلًا فاضلًا؛ بل أيضًا نبيًّا. لكن الذهبي الفم يعود فيؤكِّد على «سرعة تماثل داود للشفاء» من مرضه، لأنه لم يستغرق في اليأس بل تاب، وعاد طاهرًا مرة أخرى (١٢). وفي موضع آخر يصف طريقة داود في التوبة بأنها:

﴿بالاتضاع، وندم القلب، وبتأنيب الضمير، وبعدم الرجوع لهذا السقوط مرة أخرى بتذكُّرها دائمًا، وباحتمال كل ما يأتي عليه بالشُّكر، وبالرفق بمن يحزنونه، وبالامتناع عن الحُكْم على الذين يتآمرون ضده، إلى حدِّ مَنْعه الذين كانوا يريدون أن يفعلوا هذا.﴾ (١٣)

ونجد في المزامير التي شرحها القديس يوحنا الذهبي الفم بُرهانًا على كُلِّ ذلك. فكما رأينا، فإن سلوك داود تجاه **أبشالوم** برهان على الامتناع عن مجازاة خصومه. أما عن احتماله بشكر ما يأتي عليه، فإننا نجد ذلك في مزمور ٧ حينما يقول: «سأشكر الرب حسب برِّه، وسأُرنم لاسم الرب العليِّ» (مز ٧: ١٧). ويقول الذهبي الفم إنَّ داود باستخدامه هنا صيغة المستقبل («سأشكر»، «سأُرنم») يشير إلى أنَّهُ لم ينسَ أعمال الله الصالحة التي نالها ولا هو صار كسولًا؛ بل كان صاحي العقل يقظًا لإحسانات الله معه (١٤).

عن مقال: David's Prayer in Saint John Chrysostom's Explanations of the Psalms, by: Eleni C. Simmons, The Greek Orthodox Theological Review, Vol. 38, Nos. 1-4, 1993, pp. 351-367.

(البقيّة في العدد القادم)

---

(١) لم يصل إلينا من شروح القديس يوحنا الذهبي الفم للمزامير سوى شروحه على ٥٨ مزمورًا فقط، وإن كان هناك رأي للقديس فوتيوس بأن الذهبي الفم شرح المزامير كلّها. إذن، فيكون قد وصلنا ثلث الشروح الكاملة.

(2) PG 55,85 **(3)** PG 55,83.

(4) PG 55,104.

(5) في الترجمة السبعينية ينضم سِفْرا صموئيل إلى سِفْرَي الملوك. وهكذا يُقرأ هذا النص في السبعينية على أنه سفر الملوك الثاني 5:18.

(6) PG 55,100.

(7) PG 55,81.

(8) PG 55,82.

(9) PG 55,83.

(10) PG 55,73.

(11) PG 55,44.

(12) Homily 26 on Matthew, In NPNF, Ser. 1, Vol. 10, pp. 182-83.

(13) Homily 4 on 2Corinthians, NPNF, Vol. 12, p. 299.

(14) PG 55,104.

«فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٦).

«لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ.» (في ٢: ١٥).

تقديم: المسيحية هي المسيح:

تمتاز المسيحية بأنَّها لا يمكن فصلها عن مؤسِّسها، فالمسيحية هي المسيح؛ إذ لا يمكننا أن نتصور إنسانًا مسيحيًّا حقيقيًّا بدون المسيح. فشخصية المسيح وحياته وأعماله هي حجر الزاوية في سلوك أتباعه: «فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» (غل٢: ٢٠)، «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا» (أف ٢: ٢٠و٢١). إنه الألف والياء في الإنجيل ليس المكتوب فحسب؛ بل أيضًا الحي المُعاش في بني البشر.

تقول إحدى الليتورجيات القديمة: ﴿نشكرك لأن اسم مسيحك قد دُعِيَ علينا، وهكذا صرنا معك واحدًا...﴾ (١).

فالمسيحي الحقيقيّ له فكر المسيح ومشاعره (١كو ٢: ١٦)، «لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ.» (أف ٥: ٣٠).

المسيحيون هم المسيح فيما يحبون وما يعملون وما يقولون، فاسمهم في الواقع هو عنوان شاهد لما في قلوبهم. المسيحي دُعِيَ ابنًا لله، لأن المسيح الذي هو «ابني الحبيب الذي سُرَّت به نفسي» حالٌّ في قلبه وفي فمه وفي أعماله: «مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ.» (مر٩: ٤١).

مَسيحِيُّو القرون الأولى كانت حياتهم شهادة للمسيح شخصيًا وليست لمبادئ أخلاقية أو أدبية. فلم تكن المسيحية في بدايتها دستورًا أخلاقيًّا جديدًا ينشره المسيحيون، بل شخصية جديدة هي المسيح. وكان موضوع حياتهم ليس تعاليم المسيح بل **المعلِّم نفسه**. لذلك كان تبشيرهم بالإنجيل نابعًا من قلوب تكرَّست لشخص المسيح الحي ابن الله فادي العالم الذي هو كفء لتوصيل روحه لكل البشر. وكما يقول المؤرخ «جواتكن»:

﴿لقد اعتقد الرسل أنهم لو تمكَّنوا من أن يملأوا قلوب الناس بالشكر الحقيقي على هبة الحياة في المسيح، لتجلَّى سلوكهم الإنجيلي كنتيجة مباشرة لذلك!﴾ (٢).

ولعلَّه في ذلك كان متأثِّرًا بالآية: «لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى.» (عب ١٢: ٢٨).

وقد وجد المؤرخون صلةً مباشرةً بين سلوك آبائنا المسيحيين الأوائل وبين طقوسهم الكنسية، مثل المعمودية والعشاء الربَّاني والعبادة الطقسية بوجه عام، تلك التي انبثقت بشكل طبيعي من أخلاقياتهم (٣). كما أنهم بينما كانوا في أورشليم يتبعون الطقوس اليهودية في العبادة في الهيكل والحياة اليومية، إلَّا أنَّ تقدُّمهم الرُّوحي في السُّمُو عليها دلَّ على صِدْق قول معلِّمهم: «مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» (مت ٥: ١٧). كما أنَّ جماعتهم تميَّزت بأنها جماعة صلاة. فالصلاة كانت هي المنبع والضمان لوحدتهم وروح الأُخوَّة بينهم. ولقد برز من هذا الطابع من الحياة بذل ذات جماعي لم يكن اتجاهه الحقيقي هو الرغبة في إنشاء بدعة اجتماعية، بل التضحية من أجل كل محتاج إلى معونة من أي نوع.

لقد عاش المسيحيون مع بعضهم حياة عائليَّة سعيدة، فقد كان الأعضاء يُدعَوْن إخوة، وقد أعطت شركة المحبة المتعاطفة بينهم أمثلة حيَّة من السَّخاء. وهكذا اتسع تدريجيًا نطاق أُخُوَّتهم حتى شمل بلادًا وأقطارًا أخرى. وقد عُرفوا بـ «التلاميذ» و«أهل الطريق» و«قديسين».

وقد بنَى **الرسول بولس** رسائله على أساس حَثِّ قُرَّائها على الثبات في المسيح، ويمكن أن نُلخِّص هذا المعنى في مبدأ واحد هو: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟... لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ» (١كو٣: ١٦و١٧). كما أن الفضائل العائليَّة والاجتماعية كانت سريعًا ما تظهر فيمن يصيرون مسيحيين: محبة

الزَّوج لزوجته، والزَّوجة لزوجها، ومحبة وطاعة وإكرام الأولاد لوالديهم، ومحبة الأعداء والفقراء؛ فكانوا يسلكون «كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ.» (في ١: ٢٧).

خميرة نشيطة:

إن الانتشار السريع للمسيحية رغم كل العقبات والاضطهادات والظروف المضادة، لَهو أفضل برهان على صِدْق قول الرَّبّ إنَّ ملكوت الله كحبة خردل صارت شجرة عظيمة، وكخميرة صغيرة اختمر بها العجين كله. وذلك لأن روحانيَّة المسيحيَّة ظهرت في سلوك المؤمنين دون أن يُجبَر أحد على اعتناقها، فقد سيطرت على قلوب البشر بسبب التلاقي المبارك، بين إرادة الإنسان الحُرَّة التي تعضدها النعمة مع مشيئة الرَّبّ التي نشتهي تحقيقها كل يوم بقولنا: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ (**بين الملائكة والقديسين**) كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ».

ويعزو المؤرِّخ «**جيبون**» انتشار المسيحية السريع إلى:

١ – الغيرة التي تأجَّجت في قلوب المسيحيين. وقد اكتسبوها من روح المسيح الذي سكن في قلوبهم.

٢ – عقيدة خلود الإنسان التي لم تكن لدى الفلاسفة القدماء سوى أفكار غامضة عنها.

٣ – القوات المعجزية التي أجراها مؤمنو الكنيسة الأولى.

٤ – سلوك المسيحيين الأوائل الذي اشتمل على أكثر الآداب التي عرفتها البشرية نقاوةً.

٥ – وحدة الكنيسة ونظامها اللذان كوَّنا بالتدريج «ثروة مشتركة»، أي ملكوتًا غنيًا بالروح ممتلئًا بالحبّ (٤).

لقد تغلغل ينبوع القداسة الذي تفجَّر من المسيح في الحياة العملية لأشخاص لا حَصْر لهم، بطريقة لم تعرفها البشريَّة منذ خِلْقتها، وعجز المؤرِّخون عن الوصول إليها، أو يسجِّلوها مع أنها جدَّدت حياة شعوب بأكملها، ومع هذا فقد تسجَّلت في سفر الحياة عند الرَّبّ لكي تُكشَف في يوم الدينونة.

كانت فاعلية المسيحية في المؤمنين هادئة وعميقة في قلوبهم، ومع ذلك فقد استرعت أعمال النعمة الإلهية فيهم انتباه المؤرِّخين. فمن يستطيع أن يقيس العمق والعرض لكل تلك الخبرات المباركة للتسامح، وسلام القلب الداخلي، والثقة في الله، والحب لله وللإنسان، والاتضاع والوداعة والصبر والتسليم؛ تلك الخبرات التي تفتَّحت كزهور الربيع في تربة القلب المتجدِّد بالإيمان، منذ حلول الروح القدس على الكنيسة الأولى وإلى الأبد! مَن يستطيع أن يُحصي عدد الصلوات الملتهبة والتوسُّلات التي رُفعت من المخادع والكهوف والصحاري وقبور الشهداء، في الليل الهادئ وفي وضح النهار، لأجل الأصدقاء والأعداء، لأجل كل طبقات البشر، وحتى لأجل المضطهِدين القساة، إلى عرش المخلِّص؟! كم تأصَّلت الحياة بجذورها في أعماق النفس البشرية وظهرت في سلوك المؤمنين الخارجي وأثَّرت تأثيراً عجيباً في كل المجالات!

والسبب في ذلك واضح، وهو أن المسيحيَّة تتميز بإمكانية وسهولة ممارسة الفضيلة والتقوى بمعونة نعمة المسيح: «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ.» (تي٢: ١١و١٢)، «وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدًّا مَعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (١تي١: ١٤)، «لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ.» (مت ١١: ٣٠).

وأعلى مستوى من الحبّ لله وللإنسان، الذي وضعت المسيحيَّة أساسه، تظهر براهينه في سِيَرِ أولاد الله في كل جيل، أولئك الذين تكلَّمت أعمالهم بأكثر من كلامهم. إن أجمل المبادئ الأدبية لم تقدر أن تلد العالم ثانية ولا أن تغلبه، ولكن إنجيل المسيح قد فعل ذلك ولا يزال: «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو١٦: ٣٣)، «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا.» (١يو٥: ٤).

من كلمة المسيح وروحه، ومن حياته في الكنيسة وتملُّكه عليها؛ نَبَع وفاض نَهْرٌ من قوة فداء وتقديس ومجد في قلوب الأفراد والعائلات والأُمم على مدى تلك القرون العشرين، وسيظل ينبع حتى يصير الله الكل في الكل.

ونحن لا يُعوزنا أن نوضِّح السلوك المسيحي في حياة الرسل، أو المؤمنين الأوائل المذكورة في الإنجيل وعلى الأخص سفر أعمال الرسل. ولكننا نريد أن نلمس هنا استمرار حياة المسيح في أولئك الذين وَلَدتهم الكنيسة للمسيح بقوة وفاعلية ونعمة الروح القدس، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وذلك بشهادة الفلاسفة وحتى الأعداء والوثنيّين والأباطرة. وسِيَرِ القديسين والقديسات – التي نحتاج إلى قراءتها والتأمُّل فيها والاقتداء بها – قد جعلت الكثيرين يكتبون محاولين الاقتراب من أسرار هذه الحياة الجديدة على جنس البشر والمذهلة حقًّا بسبب القوة الإلهية التي فيها.

أنوار وسط جيل مُعوَجٍ وَمُلْتَوٍ:

يقول الفيلسوف «**جوته Goethe**»: «إن الصراع بين الإيمان وعدم الإيمان يظل هو الموضوع الجوهري، والوحيد والأعمق لتاريخ العالم والبشريَّة الذي يخضع له جميع الناس» (٥). فإذا قارنَّا بين المؤمنين بالمسيح وغير المؤمنين، نجد أن المؤمنين كانت لهم جدِّية في أخلاقهم تباينت بشدَّة مع الفساد الذي كان سائداً في القرون الأولى. لقد صدَّت المسيحية الطائشين والشهوانيّين، وفي نفس الوقت لم تتوقف عن أن تؤثِّر بقوَّة عجيبة في أعمق وأنبل الأذهان، كما أن ولع الفقراء والمظلومين بالإنجيل شهد لقوته المعزِّية والمُجدِّدة، وهكذا كان المسيحيون يَشعُّون بحياتهم الإنجيلية مثل كواكب عديدة وسط ظلمة خطايا البشر(٦).

وفي وسط فساد حياة الوثنيين الكئيبة المظلمة فتح الله ينبوع القداسة والمحبة والسلام الذي ناله المسيحيون من معلِّمهم، فصار هذا القطيع الصغير ينبض بالحياة والرجاء، مِلْحًا للأرض ونورًا للعالم. كانوا فقراء

في ممتلكات هذا العالم، ولكنهم امتلكوا الكنوز غير الفانية التي لملكوت الله. كانوا ودعاء ومتضعي القلوب ما أهَّلَهُم أن ينالوا وعد الرَّبّ أن يرثوا أرض الميعاد، وبخضوعهم للرَّبّ غلبوا العالم، وبالتألُّم والموت معه ربحوا إكليل الحياة.

لقد أوضح المدافعون عن الإيمان – ابتداءً من كاتب الرسالة إلى ديوجنيتس حتى أوريجانوس وكبريانوس وأغسطينوس، بطرق مختلفة وقوية – تَفَوُّق الأخلاق المسيحية على الوثنية، وقد تأيَّدت شهاداتهم تمامًا بثمار المؤمنين العملية. ويقول أحد المؤرِّخين:

﴿إذا قارنَّا الحالة الأدبيَّة لشعوب الكنائس الرسوليَّة بأحوال اليهود والوثنيين المحيطين بهم، فكأنَّنَا نقارن بين واحة خضراء ذات ينابيع حيَّة وأشجار مثمرة، وبين صحراء قاحلة ليس فيها سوى رمال وأحجار. لقد كان السلوك اليومي للمسيحيين الأوائل عبارة عن شركة حيَّة مع المسيح في سعي متواصل إلى تمجيد الله وخلاص الإنسان، فكثير من الفضائل الرئيسية مثل الاتضاع ومحبة الأعداء كانت غير معروفة قبل المسيحيَّة؛ أما التقوى الإنجيلية فكان يمثِّلها الرسل مثل بطرس وبولس ويوحنا في نماذج مختلفة، فقد كانوا أقرب ما يكون إلى ما يستطيع الجنس البشري أن يُحقِّقه من الكمال في عالم كله خطية: «بِلاَ لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلاَدًا للهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ.» (في ٢: ١٥)﴾ (٧).

كتب العلاَّمة ترتليان مُخاطبًا الوثنيين في القرن الثالث الميلادي:

﴿ما قالَ أحد ولا رأى ولا سمع أنه يوجد بيننا شيء له علاقة بجنون السيرك أو عدم حشمة المسرح، أو وحشية ساحة الصراع (أو الملاكمة) أي التمرينات الباطلة في أرض المصارعات، فلماذا تهتاجون علينا لأنَّنَا نختلف عنكم فيما يتعلَّق بملذَّاتكم؟ إن عدم مشاركتنا في مسرَّاتكم يجعلنا خاسرين حسب مفهومكم. نحن ننبذ ما يسرُّكم، وأنتم أيضًا لا تتذوَّقون ما يُفرحنا.﴾ (٨).

ويقول الشهيد يوستينوس:

[إنهم يظنون أنَّنَا مجانين لأننا نعبد هذا المسيح الذي صُلِب تحت حُكم **بيلاطس البنطي** كإله، ولكنهم لو عرفوا سرَّ الصليب لَمَا قالوا ذلك، ولكن يمكنهم أن يعرفوه من ثماره (أي ثمار الصليب في المؤمنين). فنحن الذين عشنا في الفسق وكُنَّا نخدم شهواتنا، نتلذَّذ الآن بالعفة والأخلاق الطاهرة.

نحن الذين كنا نسير وراء السحر والشعوذة كرَّسنا أنفسنا الآن لله الصالح الأبدي. نحن الذين كنا نحب المال والممتلكات أكثر من أي إنسان، نسلِّم الآن ما عندنا بلا مقابل لأجل المنفعة العامة للكل ونُعطي كل محتاج. نحن الذين كنا نُبغض ونقتل بعضنا بعضًا، نُصلِّي الآن لأجل أعدائنا. نحن الذين ما كنا نوافق على أن نشترك في المأوى مع الغرباء بسبب اختلاف عاداتنا، فإننا الآن – منذ مجيء المسيح – نعيش معهم، ونحاول برفق أن نُهدِّئ من روع الذين يضطهدوننا بحقد ويُبغضوننا بلا سبب، ونُقنعهم بأن يُعدِّلوا حياتهم وفقًا لتعاليم المسيح السامية رجاءً في أن يُشاركونا في البركات التي نتمتع بها والمذخرة لنا عند الله ضابط الكل﴾.

(1) Dict. of the Apostolic Church, Vol. 1, p. 200.
(2) Early Church Hist., I,55.
(3) Dict. of the Apostolic Church, Vol. 1, p. 200.
(4) E. Gibbon: History of the Decline and Fall of the Roman Empire, ch. 15.
(5) Ph. Schaff, History of Christian Church, Vol. I, p. 197.
(6) Ibid., Vol. II, p. 14, 385.
(7) Ibid., Vol. I, p. 434.
(8) Apology, ch. 38.

«كما أنَّ الشمس هي نور لعيني الجسد، هكذا الصلاة هي نور للنفس. فإن كانت تُعتبر خسارة فادحة ألَّا يرى الأعمى الشمس فكم بالحَرِيِّ تكون الخسارة عندما لا يُقدِّس المسيحي نفسه بنور المسيح بواسطة الصلاة؟!».

«عندما نعود من الكنيسة إلى البيت لِنُهَيِّئ طاولتين واحدة للطعام وأخرى لكلمة الله. الزوج يعيد التعليم الذي أُعطي والمرأة تتقبله من فمه والأولاد يسمعونه ولا يُحرم العبيد من الدروس. إجعل من بيتك كنيسة لأنك سوف تُجيب عن خلاص أولادك وعبيدك» (عظة تكوين 6.)

«هناك أناس يتصورون أنَّ السلام يَكْمُن في مُجرَّد التَّحِيَّة التي يُوَجِّهُهَا بعضهم لبعض، أما أنا فأعتقد أنَّ السلام الحقيقي هو في الخضوع لعمل روح الله».

القديس يوحنا الذهبي الفم

« إني أمتدح الكنائس، وأُصلِّي لتكون لها وحدة في جسد وروح يسوع المسيح، الذي هو حياتنا الدائمة، وحدة الإيمان والحبّ التي تفوق كلَّ شيء، بل وأفضل من ذلك بصفة مطلقة: وحدة يسوع والآب!...

فكما أن الرَّبّ لم يفعل شيئًا، لا بنفسه ولا برسله، في معزلٍ عن الآب المتَّحد به؛ هكذا أنتم أيضًا لا تفعلوا شيئًا في معزلٍ عن الأسقف والقَسّ، ولا تحاولوا أن تستحسنوا ما يتراءى لكل واحد منكم، بل افعلوا كلَّ شيء معًا:

... صلاة واحدة، دعاء واحد، فكر واحد، رجاء واحد في المحبة وفي الفرح الذي بلا لوم.

فإنَّ هذا هو يسوع المسيح الذي ليس شيء أفضل منه! ».

القديس أغناطيوس الأنطاكي

النُبوءات عن المسيَّا في العهدين القديم والجديد

يظل العهد القديم بالنسبة للمسيحيين يحمل التقدير اللائق، لأنه يشمل عددًا لا بأس به من النبوءات عن «المسيَّا»، وكذا الأقوال الموحَى بها فيما يتعلَّق بشخص وعمل المسيح الممسوح.

«المسيَّا Messiah»، والكلمة العبرانية משיח Mashiah تعني «الممسوح» ، والسبعينية التي هي أقدم ترجمة باليونانية للعهد القديم (٢٥٠ق.م) تُترجم هذا الاسم بكلمة (أو خريستوس Ο Χρίστος) (بالعربية «المسيح»)، وهي الكلمة التي تُعطي نفس المعنى بالعبرية.

كان الذين يُمسَحُون في العهد القديم هم **الملوك والكهنة والأنبياء**، أي قادة إسرائيل المتوشَّحين بالمواهب، والذين كان سلطانهم ممنوحًا لهم من الله. لذلك فالنبوءات عن المسيح تُمثِّل الفترة الزمنية التاريخية قبل مجيء ربنا يسوع المسيح. ويقول **يوحنا الرسول**: « وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ.» (يو ٢٠: ٣١).

ويتميَّز تاريخ العهد القديم بتسلسل ثابت دائم، يبدأ بالعالم الذي خلقه الله (تك ١)، عبورًا بدعوات مختلفة (مثل دعوة إبراهيم في تكوين ١٢)، ثم عقد العهود (مثل عهد سيناء في سفر الخروج – أصحاح ١٩)، حيث تبلغ هذه العهود ذروتها بيوم مجيء المسيَّا، والذي فيه تعود كل الخليقة لتخضع لخالقها.

ومن خلال الأزمنة والأمكنة التي ذُكرت في العهد القديم، نجد المسيَّا – **حتى قبل أن يتجسَّد** – في رحلة مستمرة عَبْرَ التاريخ، ولكن مُغيِّرًا اسمه ومظهره ولقبه، يهمس بلطف وهدوء، أو يَظهر بظهور مُبْهَم، مُخْفِيًا نفسه بعلاماتٍ وأشكال سرِّية كظلال لحقيقة التجسُّد العظيم الذي كَمُل في المسيح يسوع. لقد كان موجودًا دائمًا هناك، في قلب التاريخ الخافق، حيث يظهر أنه عبد يهوه (وهو الاسم الشخصي لله في العهد القديم، والذي يعني: «الكائن الذي يكون» ﴿وبالعبريّة: כ "**אהיה אשר אהיה**", إهييه أَشِر إهييه. היינו כהוויה תמידית ושאינה מתכלה. : حضور ووجود مستمرّ لا يتغيَّر ﴾، الإله الوحيد الموجود هنا وهناك، الآن وفي كل زمان، بالنسبة لكَ وبالنسبة لي، ولكلينا معاً عندما نكون في عمق الاحتياج وشدَّة الحزن. إنه قريبٌ جدًّا من يهوه أبيه والذي مسحه، حتى أنه في أوقات كثيرة كانت أسماؤهما متبادلة. فمثلًا في (خر٣:٢) يَظهر ملاك يهوه (الذي هو مثال للمسيَّا) **لموسى** في العلَّيقة المشتعلة في حوريب، بينما في عدد ٤ نجد أنَّ يهوه نفسه هو الذي يتكلَّم معه.

وفيما يتعلَّق بالعلاقة بين المسيَّا الموجود قبل ظهوره، وبين صُوَره وأشكاله التي ظهر بها سابقًا؛ فإنَّ المرنِّم يكتب في (مز٤٤: ٦و٧): «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.». والمقصود بـ «رفقاء» الممسوح المذكور في هذا النص يعود إلى أشكال وأمثلة الأنماط التي ظهر بها المسيح. والمرنِّم يُشير إلى المسيَّا، الذي بسبب طبيعته الإلهية يفوق كل أشكال (رفقائه). ومن حيث إن المسيَّا يشترك في نفس الطبيعة الإلهية التي لله الذي مسحه ، فإن المسيح (الممسوح بالروح القُدس ليُتمِّم به عمله الخلاصي في العالم – راجع تفسير القديس أثناسيوس الكبير في مجلة نور المسيح لشهر حزيران ٢٠٢١ صفحة ٢٠– الآيات (كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ ...ومَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ) تشير إلى أنَّ الطبيعتين الإلهية والبشرية موجودتان في شخص المسيَّا. كما قرَّر مجمع خلقيدونية الرّابع:

«إنّ المسيح هو نفسه تامّ في الألوهة وتامّ في البشريّة، إله حقّ وإنسان حقّ. إنّه مساوٍ للآب في الألوهة ومساوٍ لنا في البشريّة، شبيه بنا في كلّ شيء ما خلا الخطيئة. قبل كلّ الدهور وُلد من الآب بحسب الألوهة، وفي الأيّام الأخيرة هو نفسه، لأجلنا ولأجل خلاصنا، وُلد من مريم العذراء والدة الإله، بحسب البشريّة. واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، ابن الله، الرَّبّ، الذي يجب الاعتراف به في طبيعتين متّحدتين دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال. وهو لم ينقسم ولم ينفصل إلى شخصين، بل واحدٌ هو، وهو نفسه الابن الوحيد، الإله الكلمة، الرَّبّ يسوع المسيح».

وفي السطور القادمة، سوف نتمعَّن في بعض الأمثلة من نبوءات العهد القديم التي توضِّح كيف أن الكُتَّاب الموحَى إليهم، يستخدمون لغة بها مضادة ظاهرية يحاولون بها أن ينقلوا ويوصِّلوا ما هو فائق عن الوصف.

١ – نسل المرأة:

يحوي سفر التكوين (٣: ١٥) أول الأخبار السارَّة – (والمسمَّاة في اللغة الآبائية Protoevangelium – الإنجيل المُسبق) – التي أعطاها الله **لآدم وحواء** فورَ تعدِّيهم لوصيَّته. هنا الله يخاطب حواء قائلًا إنه سوف يُقيم عداوة بين «**المرأة**» و«**الحيَّة**» (**أو الشيطان**). إن أداة

التعريف في الكلمة العبرية **ha-ishah האישה** أي «**المرأة**» والتي يُعنَى بها «امرأة محددة»، جعلت الكُتَّاب المسيحيين الأوائل يَرَوْن في هذه المرأة المُحاطة بالعناية الإلهية سَبْق إشارة **لشخصية القديسة مريم والدة الإله**. والصفة الماسيَّانية لهذا النص اعترف بها أيضًا المفسِّرون اليهود. فالترجوم المنحول ليوناثان (وهي ترجمة تفسيرية للآرامية) في الفصل الخاص بسفر التكوين (٣:١٥) ينتهي بالملاحظة: «في أيام الملك المسيَّا».

ولكن ما يُحيِّر أكثر في هذه الآية، هو ذِكر كلمة «نَسْل» مع كلمة «المرأة». لقد كان يجب أن يكون الكلام عن نسل «**الرجل**» كأمر طبيعي بدلًا من نسل «المرأة». هذه الكلمات المضادَّة للوضع الطبيعي تؤكِّد على حقيقة أنَّ **المسيَّا** (الذي هو النسل) سوف يولد بطريقة تسمو على الطبيعة العادية، أي بدون أبٍ بشري، ولكن النَّص لا يُفصِح عن كيف سيكون هذا «النسل» هو نسل «المرأة». إنه يُقحِم ببساطة هذه التضادة الأولى داخل هذا التصوير المتشابك للمسيَّا.

٢ – عذراء تصير والدة الإله:

انقضت قرون عديدة منذ فجر البشرية، منذ أُلقي هذا الخبر السارّ (المسمَّى باللغة العلمية: الإنجيل المُسبق Protoevangelium)، وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد عندما بدأ النبي إشعياء خدمته. لقد ترك لنا نبي أورشليم العظيم نبوءَةً من أعظم النبوءات الماسيَّانية المعروفة والتي طالما اقتبَسَها الناس، ويؤكِّد إشعياء في نبوءَته (٧:١٤) على نفس نبوءَة سفر التكوين (٣: ١٥)، أي الحَمْل (الحَبَل) الفائق للطبيعة للمسيَّا. ويضيف النَّص تفاصيل قليلة جديدة:

أولاً: «فالمرأة» توصف بدقة أنها «**العذراء**» (قارن ذلك مع الإعلان المُلهَم للترجمة السبعينية للعهد القديم، والتي تُترجِم الكلمة العبرية المُعرَّفة بأداة التعريف ha-almah «الفتاة» أو «العذراء» بالكلمة اليونانية η παρθένος أي «العذراء»). كما يشير حرف النداء والتعجُّب הנה hinneh والمترجم لليونانية ذيستي Δέστε وبالإنجليزية behold وبالعربية «ها هوذا»، إلى حقيقة متضادَّة؛ وهي أنَّ «عذراء» تُعطِي ميلادًا لله. يقول إشعياء تحت إلهام الرُّوح القُدُس: إنَّ العذراء سوف تحبل (هذا التفصيل يتوازى مع كلمة «نسل المرأة» المذكور في تك ٣: ١٥)، وإنها سوف تلد ابنًا وتسميه «عمانوئيل» (وهذا الاسم يعني «الله معنا»)، وحينئذ يستنتج المرء أنَّ أُم عمانوئيل هي **عذراء** سواء وهي في لحظة الحَمْل أو وهي أثناء الحَمْل.

وبعد قرنين تقريبًا يكون حزقيال (٤٤: ٢و٣) قد رأى رؤيا باب الهيكل الشرقي في أورشليم الذي سوف يظل مغلقًا. وقد رأى الكُتَّاب المسيحيون هنا تصويرًا مُسْبقًا لدوام بتولية العذراء (متضمِّنًا في ذلك بتوليتها بعد الولادة). فيقول حزقيال النبي: «هذا الباب يكون مُغلقًا لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان، لأن يهوه إله إسرائيل دَخَل منه، فيكون لذلك مُغلقًا. الرئيس prince نفسه هو يجلس فيه ليأكل أمام «يهوه» (والاسم «الرئيس» هنا هو مثل عبارة: «رئيس السلام» المذكورة في (إش ٩: ٦ وهو لقب للمسيَّا).

والتضادة الثانية: في إش ٧: ١٤، وهي أنَّ المسيَّا بالرغم من أن طبيعته إلهية، إلَّا أنه سوف يسكن بين البشر، حيث يكون اسمه الرمزي هو «عمانوئيل».

أهم الأحداث الخلاصية والنبوءات في العهدين القديم الجديد:

٣ – الآن وليس الآن، قريبًا وليس قريبًا:

لقد ورد ذِكْر **عرَّاف من بابل اسمه بلعام بن بَعُور** (عاش حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد) في سفر العدد (٢٤: ١٥–١٩)، وأيضًا ذُكر على ملاط من الجير اكتُشِف في دير الله (في الأردن، وهو يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد)؛ وقد اشترك **بلعام** في تسجيل نبوءَة عن مسيَّا، فيما قبل التاريخ. وفي قوله المُوحَى به من يهوه، يُشير **بلعام** إلى «يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ (**أي مسيَّا الملك**)» (عد٢٤:١٧)، ويختم نبوءَته بالقول: «أَرَاهُ وَلكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا.» (ع ١٧)، وفي هذه النبوءَة يقع التأكيد على سبق وجود المسيَّا. لقد سمح الله لبلعام أن يرى المسيَّا قبل الحَبَل به وقبل ميلاده. ومع أن المسيَّا كان موجودًا هناك في ذلك الوقت بين بني إسرائيل بطريقة سرِّية، إلاَّ أن تجسُّده كان لا يزال بعيدًا.

ملحوظة: أحد الحاخامات الذي اعتنق المسيحيّة منذ القرون الوسطى، يفسِّر هذه الآيات: أنَّ المسيح سيأتي في مرّتين، مجيء أوّل عند ميلاده، وآخر عند الدينونة، حسب نبوءَة بلعام الذي تنبَّأ حسب إلهام الله. (جمعيّة نور المسيح).

٤ – الفادي المُختفي:

بشفاه يبست من الحُمَّى، وعينين مبتلتين ببكاء لا نهاية له، يُقدِّم أيوب المُبتَلَى طويلًا اعترافه العلني: « أما أنا فقد علمتُ أن فاديَّ حيٌّ، وفي النهاية سيشهد على الأرض، وبعد أن أقوم سوف يجعلني قريباً منه، ومِن جسدي سوف أنظر الله. أنا وليس آخر، سوف أنظره، وعيناي سوف تتفرَّسان، وقلبي يغوص في داخلي.» (أيو١٩: ٢٥–٢٧ ترجمة حسب النص).

وبحسب نبوءة **بلعام**، فإنَّ كلمة المسيَّا المُسمَّى هنا في حديث **أيوب** «الفادي أو المخلِّص» وبالعبرية גואל goel، تشير إلى أقرب قريب يكون من واجبه في أوقات الشِّدّة أن يحفظ ممتلكات الأسرة مصونة. هذا (المسيَّا) شخصٌ حيٌّ، وإن كان على مستوى آخر للوجود، إلَّا أن عمله الخلاصي سوف يُستَعلن «في النهاية». والمسيَّا، الذي يصفه **أيوب**، يجمع في شخصه ملامح **بشرية وإلهية معًا**؛ فهو الله الذي سوف يُقيم جسد **أيوب** من تراب الأرض، بينما هو يأتي إلى الأرض كفادٍ، أي «أقرب قريب» لكي يشهد عن **أيوب** ويُقيمه قريبًا منه.

٥ – مِثْل ابن إنسان:

نفس التردُّد والذبذبات بين البشري والإلهي، الطبيعي وما هو فوق الطبيعة، نجده أيضًا في نُبوءَة النبي دانيال الذي كان زمن خدمته – حسب التقليد – يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد.

فيصف النبي دانيال، وهو في السبي، واحدة من رؤياه: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ.. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ (**ما ليس له نهاية**)» (دانيال ٧: ١٣و١٤).

وفي الأصحاح السابع يذكر دانيال أربع إمبراطوريات بشريَّة: **البابلية، مادي الفارسية، المقدونية (اليونانية)، والرومانية**، تواجهت وجهًا لوجه أمام ملكوت الله (الآية في ٢: ٣٤ بـ «حجر قُطِع بغير يدين»). مركز الانتباه هنا هو هذا القديم الأيام الجالس على كرسي الدينونة: « لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ... وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ (**للقضاء**)، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ.» (دا ٧: ٩و١٠). وفجأة وإذا «بابْنِ إِنْسَانٍ» آتيًا مِن أو مع السُّحُب واقترب من القديم الأيام. وبينما هو (المسيَّا) في هيئة بشريَّة، إلَّا أنَّهُ يُبدي سمات إلهية. إنه ذاك القادم من أعلى «مِن السُّحُبِ» (ع ١٣)، «وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ» (ع ٢٧)، والقديم الأيام «الله الآب» سوف يُعطيه «سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا» (ع ١٤)، و«وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ (**لا نهاية له**)» (ع ١٤). والرَّبّ الذي اتخذ لنفسه لقب «..ابْنَ الإِنْسَانِ..» (مت ٨: ٢٠)، سيُعرِّف الرسل بعد قيامته المجيدة بأنه قد « دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (مت ٢٨: ١٩)، كما لَمَّحَ بذلك دانيال في (٧: ١٤).

٦ – المطعون:

بعد فترة السبي (حوالي القرن الخامس قبل الميلاد)، كَتَبَ النبي **زكريا** نبوءته: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي أَلْتَمِسُ هَلاَكَ كُلِّ الأُمَمِ الآتِينَ عَلَى أُورُشَلِيمَ. وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالصَّلاَةِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَبْكُونَ عَلَيْهِ كَمَا يَبْكِي النَّاسُ عَلَى بِكْرِهِمْ» (زكريا ١٢: ٩و١٠ حسب النص المترجم). (**وقد اقتُبِس هذا النص في يوحنا ١٩: ٣٧ فيما يتعلَّق بالجندي الروماني الذي طعن جنب يسوع ليتأكَّد أنه مات على الصليب**). إن موت ذاك المطعون بالحربة حدث في سياق النبوءة بطريقة أُخروية (**أي لنهاية الأرزمنة**)، أي حصار أورشليم بواسطة الأُمم، ثم رجوع إسرائيل إلى الله. إن العصر الماسياني يرتكز على آلام وموت سرِّيين لشخص ذي طبيعتين إنسانية وإلهية. ونحن نقول شخص ذو طبيعتين إنسانية وإلهية، لأن الله في هذه النبوءة يُعرِّف هويَّته **بالإنسان المسيَّا**، الشخص «المطعون» (**المسيح له طبيعتان ومشيئتان وإرادتان، إلهيّة وبشريّة**).

وهنا تضادَّة مختلفة أخرى، ألَا وهي آلام المسيَّا كخطوة لا يمكن تحاشيها تؤدِّي إلى الانتصار الأخير لله. هل يمكن للألم والنصرة أن يتواجدا معًا؟ رأينا سابقًا كيف أنَّ البشري والإلهي، الأبدي والزمني، قد امتزجا معًا في شكل المسيَّا. ولكن ماذا عن آلام المسيَّا الذي « لا صورة له ولا جمال ليجذبنا، ولا جمال ليستميل قلوبنا» (إش٥٣: ٢)؟ هل يمكنه أن يُتمِّم ويُنجز عمل الله الخلاصي؟ والإجابة هي: نعم، كما هي مذكورة سواء في سفر زكريا أو سفر إشعياء. إنه «رَجُلُ الأَحْزَانِ» (إش ٥٣: ٣)، الذي «حَمَل أحزاننا» و«سُحِق لأجل آثامنا» (أعداد ٤و٥) و«بَذَل حياته ذبيحة إثم» (ع ١٠أ)؛ وهكذا سوف: «يرى نسلًا وتطول أيامه» (ع ١٠ب). إن كلمة «نسل» تُشير إلى جموع المؤمنين، بينما «حياة تطول (**تمتدّ**)» تشير بلا شك إلى الحياة الأبدية في ملكوت الله.

٧ – الموت والقيامة:

وفي المزمور ٢١، وهو مزمور من أشهر المزامير التي تتحدث عن الآلام (انظر مز ٣٤ و٤٠ و٥٤ و٦٨ و١٠٨)، نجد أن التباين فيما بين الآلام والنصرة يتشكَّل قليلًا إلى الموت والقيامة. وهذا المزمور يتكوَّن من قسمين: **الأول**: يتضمن الآيات ١–٢١، وتصف آلام المسيَّا؛ **والثاني**: يتضمن الآيات ٢٢–٣١، وتُصوِّر النصرة على الألم والموت. إن صرخة المتألم من الهجران والترك: «إلهي إلهي أُنظر إِلَيَّ لماذا تركتني؟» (مز ٢٢: ١)، والتي هي نفس الكلمات التي ردَّدها **الرَّبّ يسوع وهو على الصليب** (قارن مع مت ٢٧: ٤٦)؛ سَرعان ما تتبدَّد بقداسة الله الذي يعتمد عليه الشخص دائمًا (مز ٢٢: ٣–٥). ومِن الأهمية بمكان أن نعرف أن أولئك الذين كانوا يستهزئون بالرَّبّ يسوع وهو على الصليب، كانوا يقتبسون من هذا المزمور وهم لا يدرون (ع ٨): «قد اتكل على يهوه فلينجِّه، لينقذه يهوه إن كان قد سُرَّ به.» (مز ٢٢: ٨، مت ٢٧: ٣٩–٤٣).

ويذكر مسيَّا المتألِّم أُمَّه مرتين (وليس أباه!)، باعتبارها الإنسان الذي يربط بينه وبين نسل داود كما في المزمور (أعداد ٩–١١). وهذا يمكن أن يكون إشارة غير مباشرة إلى الحَمْل الفائق للطبيعة للمسيَّا في **بطن العذراء** (قارن إش ٧: ١٤).

وحين اقترب من الموت (ع ١٥)، وبينما يداه وقدماه مُمزَّقتان (ع ١٦)، يُلاحِظ المسيَّا كيف يقترع الجند على ثيابه (ع ١٨). والوصف الأخير لهذا المشهد نجده بالتفصيل لدى البشيرَيْن (مت ٢٧: ٣٥، يو ١٩: ٢٣و٢٤).

أما في القسم الثاني من المزمور (٢١: ٢٢–٣١)، فإن المتألِّم يحصد ثمار موته الذبائحي، وهي القيامة والملكوت الأبدي. ومرة أخرى، فإن النّصرة تُستَمَدُّ مِن أو بأكثر دقة، إنها تتعايش – بطريقة سِرِّيَّةٍ – مع الآلام التي لا تُحتَمَل.

المسيَّا – المسيح:

ونفس لغة التضادَّة تُستخدم في صفحات العهد الجديد فيما يخص شخص يسوع المسيح، كلمة الله الذي صار إنسانًا لأجل خلاصنا.

«أسمى وأعلى وأعظم من رفقائه»، هذه هي السمات المسيَّانية التي أظهرت في العهد القديم مَن هو المسيح، ذلك الشخص الممسوح الذي يحمل في جسده الخاص سمات المسامير، كما أظهرت – بالمِثل – النور المجيد للقيامة في اليوم الثالث. إنه «صورة الآب القدير» (كو١: ١٥)، و«خروف الفصح الذي ذُبِح» (١كو٥: ٧). وهو ابن الله الحقيقي وابن الإنسان الحقيقي. هذه هي الحقيقة «الجديدة» التي أُعلنت تحت السماء (جا ١: ٩).

بشفاعة والدة الإله،
يا مخلّص خلّصنا

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122